زينب صادق

هذا النوع من النساء

مكتبة غريب
٣،١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

حكاية كان ..

فتحت الستار وبدأت الموسيقى الكلاسيكية لراقصات الباليه :
لأستمتع بهذا الفن الرفيع . تشايكوفسكى ومقاطع من بحيرة البجع ..
نقود المصروف بدأت تنقرض ، لم أعمل عملا إضافيا هذا الشهر ،
الموسيقى تثير فى النفس الشفافية والحزن .. لا أدرى لماذا بكيته
فى الصباح :: كأنه مات .. أو هاجر .. أو كأنى أنا المسافرة
فى المساء :: اجتاحنى شعور جارف أن أضمه إلى صدرى ..
ونزلت دموعى قبل أن أنزل من فراشى فى الصباح .. لأركز على
الراقصات :. مثل حقل من الورود البيضاء يمر النسيم عليها فتتمايل برقة
وعذوبة .. لم يعجبنى هذا التصرف المتجاهل من رئيسى فى العمل
وصممت أن أتحداه .: لأركز على الراقصات .. كنت من زمن أستمتع
تماما بهذا الفن :. لم يكن شىء يشوه أفكارى ويضغط على رأسى ..

جميل هذا المقطع الموسيقى .. ابن الـ .. ماذا يظن فى
نفسه وماذا يظن بى .. ضايقتنى فكرة أننى واحدة من كثيرات

يعرفهن ، ليست لى مكانة خاصة . . بهدوء ابتعدت ولم يسأل . .
ماذا أريد منه الآن . . استراحة . . الباليه الحديث . اثنان
محبان يمارسان الحب على أنغام حالمة . . همست لصديقتى
« أمنيتى أن أمارس الحب هكذا . . قالت أننى أحلم . . فهل
يوجد الآن رجل يمارس الحب هكذا ، إنهم يريدون الراحة السريعة
لم يعد يهمهم الاستمتاع العاطفى . . غلط أن نقول الآن أننا نمارس الحب
. . إننا نمارس الجنس فقط . . لأركز على الراقصات . . تعذبنى حكاية
كان . . كان يقول . . كان يفعل . . كان فى الصيف الماضى . . كان
يطلبنى هذه الساعة كل مساء . . قلت له يوما . . أما أنك تحبنى
حقيقة وهذا شىء نادر فى زماننا أو إنك نصاب . لأركز على
الأنغام . حب عظيم هذا الذى يبديه الراقص حتى عندما تموت
حبيبته فهو يضع على قبرها كل يوم باقة ورد . . لم أزر قبر
أبى من فترة بعيدة . آخر مرة زرته كان معى . . قلت له أريد
أن أعرفك بأبى ، وأخذته إلى مقبرته . . قلت كان رجلا عظيما . .
ضمنى إلى صدره وقال هامساً لأبى : « أحب ابنتك ايها الرجل
العظيم » وكان يوما . . كان . . لمن هذه الموسيقى ؟ . فى
الصباح جلست فوق كبريائى وطلبته ، قال : « لا يشغلنى عنك سوى
العمل » . . قلت : « العمل أو غيره أنا فقط أسأل عنك كيف حالك » .
قال : « مازلت أحبك . . وأنت ؟ » سلمت ولم أرد على سؤاله . .
مازال من أخوات كان . . لأركز على الراقصات . . الدموع تزاحم
رؤيتى . . تصفيق حاد . . ولم أستطع التمتع بهذا الفن الرفيع .

قبلة صغيرة لا أكثر

طلبتنى صديقة فى الصباح قبل أن أنزل إلى عملى .

قالت : ما هذا الفعل الفاضح الذى فعلته أمس فى الحفلة :

« كنت أقف مع بعض الحاضرين فى هذا الاستقبال الرسمى لمجموعة من الأجانب سيقيمون مشروعات مع مجموعة شركاتنا .

كنت أشعر بوحدة ، وفى حاجة إلى حديث مختلف تماما » :

فى مصعد الشركة ابتسم لى زميل .

قال : رأيتك أمس فى الحفلة . لم أكن أعرف أن فيك كل هذه الحيوية .

ـ أنا أتحدث كثيرا فى هذه الحفلات .

ـ لم أرك وأنت تتحدثين . رأيتك وأنت تقبلين . وحسدت الرجل على تلك القبلة .

«وأنا أتحدث أمس فى الرسميات والالآت لمحت وجه صديق قديم كان مسافرا لسنين ولم أعرف بعودته المفاجئة . التقت نظراتنا . جريت إليه . وجرى إلى . فى لحظات كان كل منا يحيط الآخر بذراعيه . واقتربت من وجهه لأقبل وجنته ،فى تلك الأثناء ناداه صوت . التفت يمينا ناحية الصوت فجاءت شفتى على شفتيه عفوا . وكانت القبله التى تبادلها معى . قبلة صداقة ووحشة لا أكثر» .

فى حجرة المدير اجتمعنا والأجانب حول منضدة كبيرة . قال الرجل الذى يجلس بجانبى :

– أحب أن أعرفك بنفسى .

قال اسمه واسم القطاع الذى يعمل به فى شركاتنا . قلت له أول مرة أراك .

قال : لكنى رأيتك أمس فى الحفلة ، أعجبت بك لأنك لا تخجلين فى إظهار عواطفك .

نظرت إليه نظرة ثابتة . لم أرد عليه . وأنا خارجة من الشركة قابلت زميلة قالت أنها رأتنى أمس فى الحفلة . قلت مستكملة جملتها .

– وأنا أتبادل قبلة مع رجل .

ـ أولا لم أصدق . ثم قلت :

ـ فى الحب والحرب كل شىء ممكن فعله .

عند باب الشركة وجدت الرجل الذى سأتزوجه ينتظرنى وسط مجموعة من زملائى يحدثهم .

قال ونحن سائرين معا :

ـ كانوا يحدثوننى عن حفلة الأمس .

ـ وحدثوك عن الرجل الذى قبلته !

قال مندهشا : أى رجل . وأى قبلة ؟ !

قلت كأن لم يعد يهمنى ما يمكن أن يحدث .

ـ لابد أن تعرف الحكاية أنت أيضاً .

ضربة حظ

أخذ الصغار نقوداً من آبائهم وأمهاتهم وذهبوا فى جموع كبيرة إلى النادى يشترون تذاكر عليها أرقام وعيونهم على الدراجة البخارية . هناك سوق خيرية فيها بضائع تباع بضعف ثمنها لمساعدة اليتامى وتذاكر من أجل يانصيب على دراجة بخارية . . بعض الصغار غافلوا آباءهم وأمهاتهم المنهمكين فى شراء البضائع واشتروا أكثر من تذكرة مضحين بثمن طعام غذائهم . فهم يشاهدون فى التليفزيون إعلانات عن هذه الدراجة وكيف أنها تجلب السعادة لمن يستعملها..وتخيلوا هذهالسعادة وهم يحيطون بالميكرفون وعيونهم متعلقة بشفتى السيدة التى تقرأ الأرقام الفائزة . هناك أشياء كثيرة للأرقام المحظوظة لكنها ليست ذات قيمة مثل الدراجة البخارية . إنهم يشاهدون فى إعلانات التليفزيون ويقرأون فى الصحف عن « ضربة الحظ » التى تأتى لشخص فيكسب بنقود قليلة آلاف

لجنيهات أو أشياء كبيرة تجلب السعادة مثل الدراجة البخارية .
وتعالت أصوات الصغار بأغانى الإعلانات .

نظر رجل إلى عيون الصغار وقال لسيدة تقف بجواره :

« يخيل إلى أنه لم يعد هناك طفولة بمعنى هذه الكلمة » .

هزت السيدة رأسها موافقة كأنها تتحسر على أيام الطفولة السعيدة عندما كان الأطفال يتخيلون المستقبل . فى أنهم يتعلمون ويعملون ويكسبون ليشتروا بمكسبهم مثل هذه الدراجة البخارية .

قال الرجل متشجعا بموافقة السيدة على رأيه :

— « إن ما يراه الأطفال من أفلام ومسرحيات فى التليفزيون وكلمات ومشاهد لا يصح أن يسمعوها فى مثل أعمارهم تسرق منهم أجمل مميزات سنوات الطفولة وهى البراءة » .

وسألت السيدة الرجل المتحدث الذى يقف بجوارها . .
« هل لديك أطفال »قال : «طفل يعيش مع جدته لأمه بعد أن توفيت أمه فى حادثة » تأسفت السيدة على مصاب الرجل وابتسمت له بحنان كأنها تعلن له أن الإنسان فى هذا العالم لا يعيش وحده وأنه يمكن أن يجد حظه بجواره . .

تشجع الرجل لابتسامة السيدة وسألها : وأنت . هل لديك أطفال ؟ توردت وجنتاها قليلا وهى تقول « كنت متزوجة .. لكن لم أنجب .. فتركنى » . تعالت صيحات الصغار والكبار عندما أعلن عن الرقم الفائز .

قال الرجل ضاحكا « فكرت ماذا يمكن أن أصنع بالدراجة لو أنا كسبتها ، وابنى مازال طفلا » .

قالت السيدة « لا أكسب أبدا فى مثل هذه اللوتاريا » .

قال الرجل : « أعتقد أننى كسبت اليوم » .

توردت وجنتا السيدة قليلا وقالت : « إن الضجة فى المكان أصابتها بصداع » . واقترح الرجل أن يخرجا إلى الحديقة لتناول بعض المرطبات . وخرجا .

الأمان خلف الأشجار

المكان وسط المدينة . تحتضنه الأشجار العالية . تفصله عن منظر وصوت الضجة . كل شىء باهر وهادىء فى المكان . الناس مستلقية باسترخاء كأنه لا يوجد شىء يضجر أمن العالم . لا يوجد شىء يضجر هذا الأمان الذى تستشعره فى داخلها . وكان مستلقيا بجوارها . يرتديان– مثل بقية الموجودين–ملابس مثل أوراق شجر التوت ،جلست ناظرة حولها . ناظرة إلى عينيه المبحلقتين فى الأشجار .

قالت – جميل أن يجد الانسان أنه مازال محبوبا .

قال – وأنه مازال يستطيع أن يحب .

قالت – جميل أن يجد صحبته تسعد آخر .

قال – وأن صحبته مع الآخر أيضا تسعده .

قالت — والأجمل أن يفكر أنه فى الغد سيظل محبوبا :

قال — وأنه مازال يستطيع أن يحب .

عادت تتأمل المنظر حولها . وتتأمله . لحظة شعرت أنهما فى مكان بعيد عن ضجة المدينة . بجوار بحر فى بلد بعيد . بجانبها رجلها الذى تحبه وحبّها الحياة فجعلتها تعيش معه . وأنهما سيتركان المكان عند الظهيرة إلى بيتهما القريب . أيديهما متشابكة . وأنهما سيستلقيان جنبا إلى جنب وقت العصر ويجو النهار المبهج والتعب اللذيذ من السباحة والمشاعر التى تغمرهما . سيمارسان الحب . وستعرف لماذا هى تحبه . من نظرة عينيه والحنان الذى يحيطها به . سيستغرقان فى النوم قليلا . لأنهما على موعد فى المساء . لسهرة أصدقاء ، لطيفة . من هذه السهرات التى يقيمها الأصدقاء فى بيوتهم الهادئة المريحة فى أماكن الشواطىء البعيدة .

لحظة اعترتها كل مشاعر الاستقرار الجميلة . فرد ذراعه وسادة لرأسها واستلقت بجواره مستمتعة بخيال إستقرارها . وغبطة الشعور بالأمان .

قال — لون الشجر يريح عينى .

قالت — متى ينتهى وجودك فى الصحراء ؟!

قال — عندما ينتهى وجودهم هناك .

قالت — يضللني ازدحام المدينة . أو هدوء مثل هذا المكان.
وأعتقد أننا أصبحنا نعيش فى سلام .

قال — سيأتى اليوم الذى لا يضلك فيه شئ .

التفت ليحتضنها . أدرك أنهما ليسا وحدهما . قام . أخذ
بيدها . قفزا معا . التقت الشفاه تحت الماء . تسابقا فى السباحة ..
تراهنا من يبقى مدة أطول تحت الماء ! . فى نهاية اليوم خرجا
من المكان . من خلف الأشجار العالية . كل سار إلى طريقه .
ابتلعهما الزحام . وابتلعت الضجة اللحظات السعيدة النادرة .
وتلاشى تماما الأمان .

انفجار !!

كانت بالجو كثافة . من التراب الراكد . من الرطوبة . من السحب المتراكمة . وكانوا يجلسون فى صمت على غير عادتهم وراء مكاتبهم فى الحجرة الكبيرة . من وقت لآخر تتجه نظراتهم إلى النافذة كأنهم يتوقعون انفجاراً . أن تهب ريح عاصفة . أن تصطك السحب بعضها ببعض . أن يحدث أى شىء . وانتقلت جهامة الجو إلى داخل الحجرة . حتى الغندورة المتفائلة لم ترمش برموشها الصناعية ولم تبتسم لأحد .

وفجأة حدث الانفجار فى الحجرة المجاورة حجرة ما يسمونه بالغبى . صوت رفيع تندفع كلماته متوالية . وصوت غليظ مرتفع وهو صوت الغبى .

ارتفعت الرؤوس من فوق المكاتب . تبادلوا النظرات وابتسامات غامضة واندفعوا إلى الحجرة المجاورة .

ربما هذا هو الانفجار الذى انتظروه منذ الصباح . بل منذ شهور مضت . منذ عينت الإدارة هذا الغريب ليكون رئيسا لقسمهم . وقبلوا هذه الخسة فى صمت متذمر . فبينهم من هو أصلح منه . فلماذا يعينون غريباً بعد انتقال رئيسهم ؟ !

علموا من تحرياتهم أن الإدارة وضعت عليهم رقيباً ليكون جاسوساً لها . ربما لأنهم أكثر الأقسام حيوية ونجاحا فيريدون معرفة السبب ! ! . لكن كيف يختارون جاسوسا بهذا الغباء وكيف يعرف أسرارهم ورأيهم فى الإدارة وهو لم يستطع أن يكون صديقا لهم ؟ !

لقد مثل فى أول الأمر دور الصديق لكن لفظاظته وحطة ألفاظه وتصرفاته رفضوا صداقته . لذلك كل ما ينقله من أخبارهم إلى الإدارة أشياء تافهة . فلان اشترى حذاء . فلان يغازل الغندورة . فلانة تركب سيارة فلان .

قفزوا إلى الحجرة المجاورة لمشاهدة هذا الانفجار الذى كانوا يتوقعونه والذى كان فى نفوسهم ويريدون تعويضا عنه .

كان الشاب النحيل رفيع الصوت يزعق . والغبى يزعق . ولم يفهموا من كلماتهما المتبادلة حقيقة الواقعة . جاء المدير غاضباً يسأل ما الخبر . واندفعوا واحداً وراء الآخر يدافعون عن الشاب

رفيع الصوت : حتى الغندورة التى لا تعرف إلا الكلمات الناعمة قالت كلمات غليظة .

وربما وجدها المدير فرصة ليحسم فى أمر الرجل الذى لم ينفعه فى مهمته فقال غاضباً موجها كلامه إليه وهو يترك الحجرة « لم يحدث أبدا فى شركتنا مثل هذا الهرج .. لابد من التحقيق » :

عادوا إلى مكاتبهم فى الحجرة الكبيرة . وخرج الشاب النحيل الذى من دهشته لم يشكرهم ولم يفهم لماذا وقفوا معه . إنه ليس من قسمهم ولا يعرفون ماذا حدث بينه وبين الغبى . ولا أى واقعة شهدوا فيها معه . ولم يهتموا أن يعرفوا . لقد حدث الانفجار وأراحهم . حتى السماء أمطرت .

اجتماع هام ‥ !!

بلغت مديرة مكتب رئيس الشركة الكبيرة جميع سكرتيرات رؤساء الأقسام أن يخبرنهم باجتماع عاجل مع رئيسهم ‥ فتحت أبواب حجرات الرجال السبعة وساروا مهرولين . مضطربين ، كل واحد يراجع نفسه مراجعة سريعة ماذا فعل ؟ وصادف أن كانت إحدى السيدتين المعينتين أخيراً لرئاسة الأقسام فى طريقها إلى دورة المياه فوجدت هذه الهرولة من الرؤساء الرجال وعرفت منهم الخبر . تساءلت لماذا لم يستدعها أحد ؟ هز الرجال رؤوسهم بشىء من الخبث والانتصار ‥لا يعرفون السبب .. سألت سكرتيرتها فقالت إنها لم تتلق أمراً بهذا ‥ سألت مديرة مكتب رئيس الشركة؟

فقالت بصوتها البارد الذى لا يعرف المجاملات أن رئيسها طلب الاجتماع برؤساء الأقسام الرجال فقط ؟ زادت حيرة المرأة وذهبت إلى زميلتها المعينة رئيسة مثلها وقالت لها الخبر ‥ وجلستا

معا فى حالة كرب من سوء الأفكار فلا بد أن الشركة ستستغنى عن رئاسة النساء للأقسام :

فكرت واحدة فى صيغة مذكرة احتجاج : وفكرت الثانية فى رفع قضية عاجلة :

فى حجرة رئيس الشركة جلس الرجال وتعجبوا أنهم لم يجدوه فى حالة غضب ، ربما كان فى أحسن حالاته وإن بدا عليه بعض القلق . ومع ذلك لم يذهب التوتر فهو من زمن لم يستدعهم إلى اجتماع عاجل هكذا :

ابتسم الرجل وقال : « كلكم متزوجون وأعرف أيضاً أن لبعضكم عشيقات » تبادلوا النظرات . إنهم لا يستحون فى إظهار عشيقاتهم فى محافل عامة، ويضعون صورهن على مكاتبهم ضمن الأوراق .

قال رئيسهم «إننا من زمن نعمل معا . كبرنا معا. كلنا كبرنا.. أريد أن أسأل .. .. كل واحد منكم كم مرة فى الأسبوع أصبح فى استطاعته أن يمارس الحب » .

انفرجت قسمات وجوههم .. ارتاحت عضلاتهم المشدودة .. ودار حديث شيق بينهم :

وعندما خرجوا من الاجتماع كانوا يتهامسون بابتهاج لهذه الثقة

المتبادلة مع رئيسهم .. ولم يفكر أحدهم فى المصيبة التى تنتظرهم.
لقد انتشر خبر الاجتماع الطارىء فى الشركة وانتظرهم الموظفون ليعرفوا السبب . قلعثم بعضهم وهم يقولون: لا شىء مهم • وقال البعض بثقة إنها أمور خاصة تتعلق بالرؤساء الرجال •• فتهامس الموظفون أنهم فيما بعد سيعرفون حقيقة الخبر • لكن السيدتين الرئيستين أصرتا على معرفة الخبر فى الحال •

أكد أحد زملائهما أنه لا توجد فكرة لتنحيتهما عن الرئاسات•• لم تصدقا ، وذهبتا لمقابلة رئيسهم • لكنه كان قد خرج •

رجل يحب ..

أشار رجل أحمر الوجه ، ممتلىء الجسم ، متوسط العمر . يحمل مشتريات . أشار للسيارة الأجرة التى أجلس فيها ، وراكب آخر بجوار السائق . وقال « المدام ستذهب إلى شارع الهرم » . ولما كانت فى طريقنا والمشوار طويل فقد وافق السائق . وتقدمت المدام من السيارة . متوسطة الطول ، متوسطة العمر ، أنيقة . ترتدى معطفا بفراء سخى حول الرقبة مما أضفى على منظرها ووجهها نوعا من الجمال الثرى .

سألت المرأة الرجل أحمر الوجه إذا ما كان سيأتى معنا . وقال : نعم ، طائعا . وجلست بينى وبين الرجل الذى حمل المشتريات . لاحظت أنه ينظر إلى المرأة بإعجاب ، بل بحب . قال لها هامسا أنه سيوصلها ويعود بنفس السيارة ، سألته المرأة برقة لماذا التعب ؟ فقال لها بالإنجليزية .. ليتمتع بصحبتها . وقالت

هامسة بالإنجليزية « أشكرك »، وجهها به نضارة الحياة المريحة وخاتم زواج فى يدها . نوع من حواجز الأمان التى تجعل الرجال يحبون النساء بحرية وبدون تزمت . وقد ازداد احمرار وجه الرجل لقربه منها . وكانت هى بالرغم من تحفظها الواضح مستمتعة بهذه الكتلة من الإعجاب والحب الملتصقة بها . كانت جميلة بهذا الشعور الذى يضفى على المرأة جمالا عندما يجلس بجوارها رجل محب . وكنت أريد أن أسمع المزيد من كلماتهما ، وأرى المزيد من نظرات رجل محب ، فقلت لسائق السيارة ، إننى سأكمل معهم الطريق إلى « الجيزة » . لاحظت فرحة فى عينى الرجل كأنه يريد أن يشكرنى لأنى سأترك جسده ملامساً لجسد المرأة لمدة أطول ، فهى بطبيعة الحال كانت ستبتعد عندما أنزل وهذا ما لاحظته فيما بعد . قال الرجل للمرأة أنه يريد أن يلتقى بها لمدة أطول ، فابتسمت بأناقة وقالت : لندع هذا للظروف : قال أنه لم يعد يحتمل انتظار الصدفة أو الظروف : توهج وجهها بسرور خفى لكنها لم ترد . قال لها اسم رجل آخر يبدو أنه محام أو محاسب وأنهما يمكنهما أن يلتقيا فى مكتبه . هزت رأسها وقالت : سنفكر فى الأمر . قال لها أنه يوم أن يفعل أى شىء من أجلها . وشكرته . قال لها أنه مهما طال انتظاره لها لن يمل . وهمست المرأة بكلمات لم أسمعها لضجة مفاجئة فى الطريق ، وإزداد وجه الرجل احمرارا . وكانت السيارة قد وصلت إلى « الجيزة » فتنبهت لحماقتى ومجهود البحث عن مواصلة أعود بها . ونزلت !

العاشقة الاسـبانية !

كان كل شيء صاحيا فى ذلك المكان الأثرى المقدس ، وكل مخلوق حتى الذباب فوق أكوام القمامة ، والساعة الثانية صباحا . الشحاذون تجمعوا فى جلسة دائرية يقتسمون رزق اليوم ويأكلون فضلات أى شيء ، صبية يلعبون ويزعقون . المقهى مزدحم ، وأعمى يحكي مغامرات يومه لسامرين يضحكون ، ومن حين لآخر يشرئب برأسه كأنه ينظر إليهم ليرى سحر كلماته عليهم. وبعض المشايخ ذاهبون إلى الجامع العريق لينتظروا صلاة الفجر . وسيارات متناثرة تنتظر أصحابها . وامرأة تسير وحدها كأن المكان بيتها الخاص ، ترتدى رداء قصيراً ومصاغا مزيفا ، شعرها « منعكش »كأنها استيقظت من النوم فجأة . ورائحة دخان رخيص ولفائف حشيش وشواء لحم وصيحات تهز المكان من صوت مبتهل معذب . . « ياحى .. يا قيوم .. يا قوى .. ارحم عبيدك»!

وقفت بقوامها الفارع الأسمر تنظر حولها إلى المآذن . اهتزت

مشاعرها بكل ما يحيط بها .. اهتزت من صيحات الصوت المعذب، وتجمعت الدموع فى عينيها للمرة الثانية هذا المساء .

سألت السماء لماذا تعذبها مع هذا الذى يقف إلى جوارها . منذ ساعات بكت على صدره دون أن تفصح عن سبب بكائها . ولم يسألها لماذا تبكى .. فكان الحزن فى ملامحه الصارمة وفى تصرفاته . بكت وهى تتساءل ، لماذا الحب ما زال بينهما مشتعلا . ولماذا تحبه كل هذا الحب ثم لا يكون رجلها .. ؟ بكت على صدره بحرقة وعصبية ، ولاحظت دموعاً فى عينيه أيضاً . فهو حائر مع نفسه ومع عواطفه ، مع شهواته . كأنه مصاب بلعنة الحيرة الأبدية .

وسألته . « هل تحبنى ؟ » قال .. « ماذا ترين ؟ » قالت كأنها تصرخ « أرى غير ما أسمع : وغير ما تتصرف ». وأسكت كلماتها بشفتيه . لذلك بعد لحظة الحب بكت بحرقة وعصبية . وربما لأنه فى مثل هذه اللحظات لا يدرى ماذا يريد أو يفعل ، فاهتز بدموعها وتكومت دموع فى عينيه .

فى الطريق قالت عن رغبتها فى زيارة هذا المكان الأثرى المقدس . وتذكر ما قرأه ورآه من تناقض مشاعر الأسبانيات . المرأة العاشقة الأسبانية تصلى أمام صورة العذراء ثم تمارس الحب مع حبيبها ، أو تصلى بعد ممارسة الحب . ولم يفهم سر هذه الصلاة ، هل هى لطلب المغفرة . أم للشكر . أم للاثنين معاً . ولم يخف إعجابه بحبيبته ورغبتها . وقدراقبها وهى تنظر إلى المآذن . منزمن لم يبد إعجابه بقوامها الفارع الأسمر ، وأراد أن يحتضنها وسط هذا الخلق الصاحى .

الزوجـة ..

هو شاب وسيم ، ملامح وجهه جميلة . درس الحقوق وكان حلما فى نظر زميلات كثيرات له ، ومتغطرسا ثقيل الظل فى نظر زملاء كثيرين له .

كان يتصرف بدبلوماسية مع الزميلات حتى لا يفقد إعجابهن ولا يزيد أحلامهن ، ويتصرف مع الزملاء بتحفظ . وقد وجد فى منظره العام ودبلوماسيته ما يؤهله للالتحاق بالسلك الدبلوماسى ، وتحقق ما أراده . ولتكتمل الصورة قرر أن يتزوج من تناسبه فى المظهر لهذا العمل الكبير . لم يفكر فى زميلة من إحدى المعجبات به . فهى وإن كانت لن تعمل بحكم تنقله وعمله فهو لا يريد محامية فى البيت . يريد زوجة جميلة الأوصاف تقدس الحياة الزوجية. تجيد لغة أجنبية ولا تصدع رأسه . وبحث الأهل والمعارف عن طلبه واختار من المرشحات الزوجة .

طافت معه بلادا كثيرة ووجدت أن أحلامها لم تكن حقيقة حياتها . أنجبت له ولداً وبنتاً فأكتملت له صورة الأسرة وفى زيارات أبناء المهنة الواحدة، هذه الجلسات شبه العائلية التى يهربون فيها من وحدتهم فى بلاد الغربة تتحدث الزوجة : عن شقائها مع الطفلين . فهى تسهر معظم الليل وهو لا يشعر . لا تجعله يشعر . وتقوم مبكرة لإطعامها وهو لا يشعر . لا تجعله يشعر . وهو يحب الطعام الطازج ، تطبخ له كل يوم . ولا تجعله يشعر . وتغسل الملابس كل يومين . ولا تجعله يشعر بعذابها أمام آلة الغسيل اللعينة . تتعب طول النهار بين أعباء البيت وملاحظة الطفلين وهو لا يشعر : لا تجعله يشعر . وفوق كل هذا لا بد أن تعتنى بمظهرها لتكون من يفخر بجمالها فى الحفلات . وكلما زاد وزنها، ودائما ما يزداد، فهى تضطر لعمل رجيم إلى أن تسقط فاقدة الوعى من قسوة الرجيم . وهو لا يشعر. لا تحب أن يشعر، يكفيه أعباء عمله.

واعتاد الزوج أن يستمع إلى هذا الحديث من الزوجة تؤكد فيه انها حريصة على ألا يشعر . ويبتسم ابتسامة دبلوماسية . لكن فى هذه الليلة . تغلب توتره على دبلوماسيته ، وكان فى يده كأس من النبيذ الأحمر قذف به الزوجة. وساد الصمت المتوتر .. واهتزت الزوجة للمفاجأة ثم ابتسمت وقالت له وهى تجفف رداءها :

« نسيت يا حبيبى أنك دفعت مائة جنيه فى هذا الرداء . الآن لم يعد يصلح ؟؟

التفتت إلى العيون المذهولة حولها وقالت .. وأحتمل عصبيته وهو لا يشعر . لا أريده أن يشعر .

رجل كان خطير !

منذ خمسة عشر عاماً كانت صغيرة ، لا تدرى أن الشاب الذى تحبه كان خطيراً . عرفته بين مجموعة صديقات وأصدقاء ، متميزاً هادئاً . وكان إعجابها به صريحا . وحبها له صامتا : التقيا يوما بعيداً عن المجموعة . وكانت المرة الأولى والأخيرة . سألها أن يذهبا إلى سينما ثم حدثها لتترك تذكرته على بابها . يومها جلست وحدها وجاء فى نهاية الفيلم تقريباً.قال لها أنه أجل سفرة عاجلة لبراها. وجلسا فى حديقة . حدثها عن عائلته الفقيرة .. عن أمه التى أحبها كثيرا .. عن كفاحها ومرضها وفراقها. يومها قال أنه عاجز عن أن يحب إنسانة أخرى . يومها تثلجت يداها حول كوب الشاى الساخن . وحدثها عن طموحه، وكان فى طريقه ليصل إلى ما يريده. وحدثها عن البيت الجديد الذى سينتقل إليه فى حى راق ، وعن البيت القديم الذى عاش فيه مع أمه سنين ثم أصبح وحيدا .. وقال بحزن أنه كان يود أن تراه أمه كبيرا . مرموقا . ولمح لها أنه يريد

أن يزين بيته الجديد بصحبة جميلة مريحة، يومها سألها أن تذهب معه إلى بيته القديم ليريها الصراصير بجوار صفيحة القمامة ، والتي لا يستطيع أن يتغلب عليها وهي تزحف إلى طعامه وكتبه .

يومها تعجبت من رهبته الغريبة .كانت تعرف أن هناك حججا يقولها الشاب للفتاة حتى تذهب معه إلى بيته .. أن يسمعها موسيقى جديدة . أو يريها صوره عندما كان صغيرا ، أو مكتبته وكتبه الكثيرة . أما أن يجعلها ترى الصراصير بجوار صفيحة القمامة . فهذا كان أمرا جديدا . . يومها خافت أن تذهب معه . ربما قرفت من فكرة مشاهدة الصراصير . . ربما خافت صحبته لأنه تركها في ظلام السينما وحيدة . ربما خافت لأنه لم يعد يستطيع أن يحب . يومها منذ خمسه عشر عاماً عادت مشتاقة إلى منزلها .. قبلت أباها وجلست بجواره ليعطيها الأمان ويذهب عنها الخوف بابتسامته الطيبة الكبيرة .

غريب مخزون ذكريات الإنسان عندما ينساب من مخبئه فجأة.. تذكرت ذلك اليوم عندما رأت صورته منشورة في جريدة وهو يدلي بحديث خطير عن تلك الفترة البعيدة وابتسمت . لقد خفق قلبها يوما لرجل كان خطيرا .

هزار الصباح

قال الرجل لزوجته، وهي تعد طعام الإفطار : « ابسطي يازوجتي سنستثمر أموالنا في كاليفورنيا . هناك قطعة أرض تباع » . . لم تقبل الزوجة هذا الهزار الصباحي من زوجها ، كانت على عجلة في إعداد الطعام ليذهبا إلى عملهما ، نظرت إليه بجانب عينها ، وجدته يقرأ في جريدة صباحية مصرية . لم ترد عليه لأنه كثيرا ما يقول أخبارا يؤلفها وينسبها للجريدة ، وهي تكتشف هذا عندما تعود من عملها وتقرأ الجريدة بإمعان ، أحيانا تقبل هزار زوجها الصباحي وتبتسم أو تضحك ، وأحيانا لا تقبل مثل هذا الهزار كما فعلت هذا الصباح . أربع سنوات عمر زواجهما ويعيشان في شقة أخته المسافرة ، يضعان القرش فوق القرش والإضافي والبدلات ونقود الهدايا التي بيعت والجهاز الذي لم يشترياه ، والرقم ما زال ناقصا للحصول على عش حبهما ، تهاجمها المخاوف أحيانا ، أن يطير الحب عندما يحصلان

على العش ، تهاجمها المخاوف أحيانا عندما تنظر فى المرآة، لم تترهل ولم تظهر خطوط الزمن على وجهها، لكن شيئا ما تغير فى صورتها ولم يعجبها . سألت زوجها يوما عن هذا الشيء الذى تغير قال لها أن ملامحها فقدت الابتسام ، ربما لذلك يحاول كل صباح أن يقول لها شيئا يعيد الابتسامة إلى ملامحها ، أحيانا تجده مستهترا لا يطاق ، وأحيانا تجده متفائلا أكثر من اللازم ، لكنها تحبه فى كل الحالات وتخاف على حبها أن يختنق فى زحمة الحياة .

سأل الرجل زوجته : «كم أصبح حسابنا فى البنك يا حبيبتى .. هل وصل إلى .. » .. وقاطعته الزوجة قبل أن يقول الرقم الخيالى الذى اعتاد أن يقوله : « أرجوك لا تهزر هكذا فى الصباح » .. كانت السنة الأولى عندما يقول الرقم الخيالى ، تضحك وتزيد الأرقام ، وفى السنة الثانية كانت تكتفى بالابتسام، وفى السنة الثالثة بدأت تقلق ، وفى السنة الرابعة أصبحت لا تقبل هذا الهزار فى الصباح . قام الرجل وقال وهو يساعد زوجته فى وضع الطعام البسيط فوق المنضدة : « ما رأيك يا حبيبتى فى شراء قطعة أرض فى كاليفورنيا الوسطى ، الثمن مغر .. هكذا يقول الإعلان » .. لم ترد ، أحيانا تعتقد أنه يسخر من مشاعرها . وأحيانا تعتقد أنه يخفف عنها . وأحيانا تعتقد أنه يحاول أن يخفى مشاعر خوفه أيضا . كانت السنة الأولى عندما يقول مثل هذا الحديث تكمله بمرح خيالها .. وفى السنة الثانية كانت

تكتفى بالاستماع ، وفى السنة الثالثة بدأت تقلق ، وفى السنة الرابعة أصبحت لا تقبل مثل هذا الهزار فى الصباح .. اقتربت الزوجة من المنضدة ووضعت إبريق الشاى ونظرت بطرف عينيها إلى الجريدة ، ثم نظرت بكل عينيها ، إنه فعلا إعلان عن بيع قطعة أرض فى كاليفورنيا ، ولم تقبل هذا الهزار الصباحى من الجريدة .

هذا النوع من النساء

كان الرجل يصفف شعرى . يمسك خصلة خصلة بحب شديد لمهنته ، وهى تصفيف الشعر للنساء ، فهو يعتنى بهذا التاج على رأس المرأة ، وهناك فرق بين أن يعمل مصفف شعر بحب لعمله أم لا . . وهذا سر النجاح . كان الرجل يحدثنى عن الأخبار التى قرأها فى جرائد الصباح وكل صباح هذه الأيام ، ويسألنى إذا كانت الحرب العالمية الثالثة فى طريقها لتفنى العالم ، وكانت إجابتى مثل تساؤلاته ، فأحيانا تقوم الحروب على أهون الأسباب . وأثناء إنهماكه فى الحديث والعمل فوق رأسى دخلت إلى المحل امرأتان ، واحدة سمراء وشعرها أسود فاحم ، والثانية بيضاء وشعرها أصفر فاقع ، دخلت المرأتان بضجة ، كانتا تتحدثان بصوت مرتفع فى موضوع ما ، قالت السمراء للرجل أنهما تريدان تصفيف شعرهما ، وعندهما موعد هام بعد ساعتين . ابتسم لهما الرجل لأنه لابد أن يبتسم وسألها أن تنتظراه . قالت ذات الشعر الأصفر أنها من سنين لم تحضر إلى هذا

المحل وقد تحسن شكله كثيرا . . ابتسم الرجل لعاملتها . ثم التفت إلى عمله فوق رأسي . . قال وقد امتعض وجهه أنه لا يحب هذا النوع من النساء . . نظرت إليه متسائلة . قال إنه يفهم نوع النساء من أول نظرة :

قالت السمراء : « نريد أولا أن نستحم » .. ها .. ها .. ها .. ها . « يعني نغسل شعرنا » قالت عاملة في المحل بسخرية : « يمكن أيضا الاستحمام . نخرج العمال من المحل ونحميكما » . . قالت السمراء : « وبدون أن نخرج العمال » . . ها . . ها .. ها .. امتعض الرجل ولم يتحدث .

قالت السمراء إنها تريد أن تصلح أظافرها وتوضبها لأن سيارتها تعطلت في منتصف ليلة الأمس وأخذت تصلحها وتقصفت أظافرها . ذهبت إليها عاملة « المانيكير » التفتت السمراء إلى الشقراء وقالت لها أو أمرتها أن تهذب هي الأخرى أظافرها وتطليها بلون أحمر . . طلبتا فنجاني قهوة . وأخرجت السمراء علبة سجائر من حقيبتها لم يكن بها سوى سيجارة واحدة ، فقالت للشقراء أن ترسل الصبي ليشتري علبة أخرى . . سألتها : هل من نفس النوع . قالت أي نوع فهي تريد أن تدخن أي شيء ، ويبدو أن السمراء هي صاحبة الكلمة على الشقراء فقد كانت معاملتها لها بالأوامر . . وقد أمرتها أن تقوم لتصفف شعرها إلى أن تنتهي هي من إصلاح أظافرها فليس عندهما وقت للانتظار .. قال لي الرجل أن المرأتين مصبوغ شعرهما . الأصفر طبعا ، والأسود أيضا . وأنه يفهم لون الشعر من أول نظرة .

وضع الرجل مجفف الشعر فوق رأسي وأعطاني مجلة ، لكني لم أفتحها . كانت كل من المرأتين ترتدي حذاء برقبة يصل إلى ما ما تحت الركبة بدون شراب . وتتحلى السمراء بخواتم في أصابع يدها اليمنى حتى الإبهام .. وتتحلى الشقراء بسلاسل كثيرة فوق صدرها . وكان صوتهما مرتفعا بالأحاديث والحكايات . مرة بالعربية ومرة بالفرنسية الركيكة . . كانتا الوحيدتين اللتين تصنعان ضجة في المحل الهادىء بأحاديثهما ومداعبتهما للرجل الذي كان أحيانا يبتسم ، لأنه لابد أن يبتسم ، ثم يمتعض وهو يبتعد عنهما . جلست الشقراء في المقعد المجاور لمقعدي . . أمسكت بجريدة تتسلى بها وهي تجفف شعرها ، زعقت السمراء تسألها ماذا تقرأ ؟ . قالت الشقراء : « العالم مقلوب على بعضه » . . قالت السمراء : « مالنا وماله ، اقرئي لي أخبار الحوادث » . . قلبت الشقراء صفحات الجريدة .. بدأت تقرأ والسمراء تضحك على مصائب الناس . صمتت الشقراء عن القراءة وقالت للسمراء ألا تضحك ، فمن المحتمل أن يكتب اسمها في الجريدة . كان الرجل يصفف شعرها فابتسم لكنه لم يستطع أن يخفي امتعاضه . وعندما انتهيت من تجفيف شعري وأخذ الرجل يضع لمساته الأخيرة في تصفيفه ، قال أن السمراء تصر على أن شعرها الأسود الفاحم لونه طبيعي . مع أن جذوره بيضاء وهي لا تدري أنه يرى هذا .. ثم امتعض وقال أنه لا يحب هذا النوع من النساء ..

الطاووس ••

نظرت إلى السماء . سحب صغيرة كثيرة بيضاء . طيور صغيرة كثيرة ، وأصواتها عالية . لا تدرى من أين تأتى وإلى أين تذهب ، هذه الطيور المهاجرة . كل ما تدريه عنها أنها تراها فى فترتين من السنة . مرة تعلن عن بدايات الصيف فتبتهج . ومرة تعلن عن انتهائه فيصيبها شىء من الشجن .

إنها اليوم تبتهج . تستقبل بدايات الصيف ورائحة زهور ثمار الشجر وعودة حبيبها بعد غيبته . شهور طويلة أمضاها فى رحلة عمل ، وأمضتها فى انتظار وشوق ووحدة قاسية . شهور باردة من الشتاء ومن انعدام صحبة حبيبها . ها هو أخيرا عاد . الطبيعة تبتهج لعودته . وهى تبتهج لعودته . وكأن الكون كله أصبح نغمة جميلة من الابتهاج .

سألها ماذا فعلت خلال شهور غيبته . بدأت تقول . . « أنا » . . فحدثها عن البلاد التى زارها ، وروعة هذا البلد . ونظافة هذا .

ونظام هذا . . استمعت منبهرة . كم تمنت أن تكون معه . سألها عن عملها .

بدأت تقول . . « أنا » . . فحكى لها عن عمله هذا الذى سافر من أجله وما أنجزه وما لم يستطع إنجازه . استمعت بهدوء . كم تمنت أن يهتم بعملها . سألها عن صديقاتها . بدأت تقول . . « أنا » . . فحدثها عن صديقه المقرب الذى قابله فى الخارج وكيف عرفه على ناس مهمين أصبحوا أصدقاء فعمله يحتاج لهم .

استمعت بصبر . . فالعائد من سفر يحب أن يحكى عن إنجازاته ومشاهداته . وتبقى فى عينيه هذه المشاهدات تحجب عنه رؤية أى شىء . فهل من سبب آخر يجعله لا يرى الشوق فى عينى حبيبته ؟! .

تعطرت بالعطر الذى كان يحبه . لكن رائحة عطره كانت أقوى من عطرها فلم ينتبه له . وتعجبت من عطور الرجال التى أصبحت تنافس عطور النساء ، وبدأت تشعر بشىء مثل الضجر . أرادت أن تقول أى شىء ، وكلما بدأت تحدث هو . تركته يتحدث وبدأت لا تنصت له . نظرت إليه نظرة محايدة . وكأنها فجأة تذكرت عذابات تعلقها به ، وعذابات تركها معلقة بين اليأس والأمل . وأيقنت أنها فى شهور غيابه كانت مرتاحة من هذا القلق . وأنها لم تمت بابتعاده وأن حياتها سارت هادئة ، وقد أنجزت فى عملها ضعف ما كانت تتصوره . وأنها كانت فى صحبة أصدقاء وصديقات ،

محبة محبة مهتمة بوجودها ودافئة . وكانت تتخيل أن الوحدة تلفها بغيابه . . الشوق للحب جعلها تنسى وحدتها فى أيام وليال طويلة وهو فى بلدها ويقربها . نظرت إليه . وكان ما زال يتحدث ، شعرت بشىء مثل الضجر . سيعود ليتطوس ليتحدث بإعجاب عن نفسه . عن مشاريعه . عن أناقته . ولن يلتفت لمشاعرها وسيتركها دائما معلقة بين اليأس والأمل . ربما تعب من الكلام فسألها وهو يشعل سيجارة عن أخبارها .

قالت : أخبارى على ما يرام . صحتى جيدة . عملت كثيرا . ولم يتركنى الأصدقاء والصديقات صيدا لوحدتى .

قال : وما هى مشروعاتك ؟

قالت : قررت أن أنهى علاقتى بك .

نظر إليها كأنه صدم . قال : لكنى تعودت وجودك فى حياتى .

قالت : وأنا تعودت عدم وجودك فى حياتى .

خبط بيده على المنضدة : إنها أول فتاة تحبه وتنهى علاقتها به . هو الذى كان ينهى العلاقات عندما يملها . فماذا حدث له ؟ ! . . هل فقد الطاووس بريق ألوانه الزاهية ! . .

أما هى ، فقد عادت كما جاءت مبتهجة تستقبل بدايات الصيف ورائحة زهور ثمار الشجر وعودة الأمل لحياتها ، فالقرار بإنهاء علاقة حب يائسة ، هو فى حد ذاته بداية أمل . .

امرأتان

« تبدين أحسن حالا » .

« أصبحت أكثر جمالا »

بهاتين العبارتين استقبلت المرأتان كل منهما الأخرى بعد غيبة عشر سنوات :

كان اللقاء فى محل أزياء تمتلكه المرأة الثانية التى قالت للأولى « أصبحت أكثر جمالا » : وكانت المرأة الأولى قد ذهبت لتتفرج على الأزياء هذه التى قالت « تبدين أحسن حالا » . ولابد أن كلا منهما قد مر أمامها شريط سريع لأحداث مضت عليها سنوات .

أحداث عاصفة . لم تكن سببا أساسيا فى انفصال المرأتين عن زوجيهما ، وربما كانت جزءا من أسباب الانفصال .

كانت المرأة الأولى متزوجة حديثا وغير سعيدة فى ذلك الزواج ،

لأسباب كثيرة وربما تافهة لكنها مؤثرة ، ولا داعى لسرد تلك الأسباب . وقد كان زوجها يبحث عن محام « شاطر » ليرفع له قضية يسترد بها « فيلا » قديمة مؤجرة فى مكان ناء ليسكنا فيها . وكانت الزوجة تعارض هذا السكن ، ما دام الزوج يمكن أن يستأجر لهما مكانا نظيفا ومريحا ، ويعيشان بدون مشاحنات مع سكان ذلك المكان الذى نظموا حياتهم فيه . وقد عثر الزوج على المحامى المنشود الذى كان زوجا للمرأة الثانية .

وهكذا التقت المرأتان منذ عشر سنوات ،ونشأت بين الرجلين والمرأتين نوع من الصداقة شملت القيام برحلات وسهرات .وتوطدت الصداقة خصوصا أنه كان للرجلين أصدقاء مشتركون هؤلاء الذين عرفوا زوج المرأة الأولى على زوج الثانية .

كان زوج المرأة الأولى مشغولا فى أعماله الكثيرة وترك أمر القضية لزوج المرأة الثانية وترك المسئولية لزوجته ، أن تتابع الخطوات . المرأة الأولى فيها شيء من الطيبة والجمال يرتاح من يتحدث معها وينظر لوجهها . وهكذا شعر زوج المرأة الثانية . وانتقلت أحاديث العمل إلى الأحاديث الخاصة . فحدثها عن شقائه مع زوجته التى كانت مسيطرة غيورا .

وتحدثت هى أيضا عن عدم رغبتها فى تلك القضية ، لأنها لا ترغب ذلك السكن ، وتريد أن تعيش مع زوجها بعيدا عن المشاكل ، وأنها تقاسى من عناده وعدم اعتباره لمشاعرها .

وأعجب كل منهما بالآخر فى صمت . وربما أحب كل منهما الآخر فى صمت ، فكانت بينهما نظرات خاصة وكل منهما يشعر بعذاب الآخر مع شريك حياته . وقد مرت مشاكل كثيرة بين المرأة الأولى وزوجها لا داعى لسردها ، إلى أن أصرت على الطلاق. ولم يلتفت الزوج إلى تصرفاته وأخلاقه بل التفت إلى زوج المرأة الثانية.

وقال أنه السبب وأنهما متحابان وقد لاحظ نظراتهم الخاصة، وأشعل ثورة ، وانتشر خبر اتهامه إلى أن وصل إلى المرأة الثانية . ولم تكن فى حاجة إلى مزيد من الأسباب لتعذب زوجها وتهينه ، ولا داعى لسرد تلك الأحداث المؤلمة التى مرت على زوج المرأة الثانية . والمرأة الأولى .

المهم أنه قد تم طلاق المرأتين من زوجيهما . واختفت أخبارهما عن بعضهما البعض . ولا تنكر المرأة الأولى أنها انتظرت أن يتصل بها مطلق المرأة الثانية ، ولم يحدث هذا . . لكن حدث شىء آخر أهم : وهو إصلاح جزء صغير من أخطاء هذا العالم ، فتزوج مطلق الثانية وسافر فى شبه هجرة بعد أن حرمته مطلقته من أطفاله الثلاثة.

وتزوجت المرأة الأولى من رجل مختلف تماما عن زوجها الأول وعاشت معه فى أمان . . وتزوج مطلقها من امرأة مشاغبة ، ضايقت سكان « فيلته » القديمة بالأفعال والقضايا إلى أن أخرجتهم منها . أما المرأة الثانية فقد قررت أن تمارس أعمالها التجارية بعيدا عن

مضايقات الرجال . ولما علمت أن مطلقها لم يتزوج المرأة الأولى حدثته معتذرة عن اتهامها : فقال عن المرأة الأولى أنها امرأة عظيمة وأنه فعلا أحبها لكنه ليس أهلا لها : . وقد تعجبت المرأة الثانية : كما تعجبت المرأة الأولى فيما بعد عندما التقت به صدفة وقال لها هذا الكلام :

وبعد عشر سنوات التقت المرأتان كما قلنا . وقالت الأولى « تبدين أحسن حالا » : وقالت الثانية « أصبحت أكثر جمالا » : لكن شريط الأحداث الذى مر أمام كل منهما ولم نذكره بالتفصيل كان شريطا مؤلما للمرأة الأولى : ونادما للمرأة الثانية هذه التى قالت للأولى بعد أن تفرجت على المعروضات :

« أحب أن أراك : ستحضرين من وقت لآخر إلى هذا المحل : أليس كذلك : وسأرحب بك دائما وأعمل لك تخفيضات » :

وخرجت المرأة الأولى من محل الأزياء . لكنها قررت ألا تذهب مرة أخرى .

خطاب حب من ربع قرن

صدمت به ، هو التعبير الصحيح لعبارة « التقت به . صدمت بمظهره . ثم بحديثه : ثم بالعرض الذى تقدم به »

لقد دعتها صديقة لزيارتها ، وأن هناك شخصا عزيزا يريد أن يراها ، وهى أى الصديقة لا تريد أن تفصح عن اسمه حتى تكون مفاجأة ، وربما لن تذكر اسمه إذا ما قالته لها . فهذا الشخص العزيز لم تره من زمن بعيد . ولم تتعجب . ولم تتعجل فى الذهاب ، فهى تعرف مفاجآت صديقتها هذه ، ومن التجارب تعرف جيدا أن مفاجآتها ليست سارة وإن كانت أحيانا مسلية .

نظرت إلى الرجل قليلاً وهى تحاول أن تتذكر ، وزوج صديقتها يقدمه لها . « عبد العليم بك من كبار رجال الأعمال . كان صديقا لـ . . » وقاطعه الرجل . . « لا تذكرها . . هى تذكرنى جيدا . فهل تنسى المرأة أول حب فى حياتها » سحبت يدها من يده وقد احمر

وجهها غيظا وليس خجلا . فمن يكون هذا الرجل القبيح الذى يقحم نفسه على ماضيها ويسمى نفسه حبيبها الأول ؟! .

وجاءت صديقتها مرحبة بها وهى تقول : « ألم أخبرك أنها مفاجأة » . وقالت لصديقتها بصوت واضح أنها لا تتذكره . لكنها قد بدأت تتذكر .

كان صديقا لأخيها الأكبر . وكان يذهب لزيارتهم كثيرا . كان ممشوق القوام . جميل الملامح ، وفى عمر أخيها الأكبر . هذا كل ما تتذكره . سألها الرجل البدين عن أخيها وماذا يفعل .سألها عن أحوالها بعد موت زوجها فى تلك الحادثة .

قال إن قلبه تقطع حزنا عليها عندما قرأ عن الحادثة وقرأ اسمها . زوجة المتوفى . ولما علم أنها صديقة لزوجة صديقه الجديد، قال إنها مناسبة ليظهر لها مرة أخرى . فمن الذى يذهب الأحزان سوى الحبيب الأول ، ؟! . . اغتاظت مرة أخرى من ذكر الحبيب الأول .

وظن الرجل أنها غضبت أو حزنت لتذكر الحادثة ، فقال بعض النكات ليضحكها . ولدهشتها لم تضحك . لقد تذكرت هذه النكات بالذات ،كان يقولها لهم منذ خمسة وعشرين عاما.وكانت تضحك مع إخوتها لظرفه . قالت له انها تذكر هذه النكات التى سمعتها منه وهى طفلة .

ضحكت صديقتها وقالت إن عبد العليم بك وإن كان يركب « مرسيدس » إلا أن أفكاره وذكرياته ما زالت تركب « سوارس » تلك العربة القديمة التي كان يجرها حصانان ويركبها الناس كمواصلة أكثر تمدينا من عربة « الكارو » .

وضحك الرجل واهتز كرشه . وضحكت هي أيضاً ، وقد أعجبها تشبيه صديقتها ولزيد من سرورها ، سحب من وراء مقعده عودا وهو يقول : « وسأغني لك أيضا كما كنا نفعل من زمن » . ثم التفت إلى زوج صديقتها وقال وهو يضبط أوتار عوده « خسارة لم تعرفني في تلك الأيام الحوالي . كانت جلساتنا ضحكا وطرباً .. إيه .. زمن ودنيا .. » وبدأ يغني وهو ينظر تارة إليها : وتارة إلى عوده .:

« حبيبي يسعد أوقاته . على الجمال سلطان :. في نظرته وابتساماته .. فرحتك يا زمان» .. وهنا فقط تذكرت تلك الأيام : وكم كانت تفرح بزياراته . لأنه كان دائماً يقيم من زياراته حفلة ، وربما كانت أيضاً تحبه .. وظل الرجل يغني ، مجاهدا بصوته المنهك إلى أن دمعت عيناه فتوقف .وقال إنه من زمن بعيد لم يغن هكذا : صفقوا له .

وقالت ضاحكة لصديقتها .: « وكانت هذه الأغنية أطلبها منه ليغنيها » : ابتسم الرجل لأنها تذكرت حبيبها الأولى وأخرج من

جيبه ورقة قديمة أعطاها لها : نظرت فيها . وجدت خطا رديئاً : وكلمات اعتراف بحب : حبها هى . له . فقد كانت الإمضاء بإسمها . وهنا لم تشعر بالغيظ بل ضحكت بسرور وهى تعطى الخطاب لصديقتها لتضحك على مغامرات طفولتها :

لكن الرجل قطع ضحكاتهما بجدية . وسألها أن تتزوجه : . فهو وإن كان متزوجا وله أولاد وبنات كبار إلا أنه يستطيع أن يكفل لها حياة رغدة مريحة . ليكفر عن غلطة عمره وهى أنه لم يلتفت لها ، لأنها بالنسبة له فى ذلك الوقت . كانت طفلة ، أما الآن ..ونظر إليها باشتهاء ، فضحكت . وشكرته معتذرة عن فكرة الزواج مرة أخرى . لكنه سألها أن تفكر : .

بعد الزيارة . لم تفكر كثيرا فى طلب الرجل الذى رفضته مباشرة لكنها فكرت . لماذا احتفظ بخطاب حب بمثل هذا الخط الردىء ، والكلمات الساذجة لمدة ربع قرن . ؟! . :

شعاع من ضوء القمر

دخل من زجاج الشرفة، واستلقى على أرض الغرفة. نظرت إليه بحنان واستلقت بجواره. كيف يحتضن الإنسان شعاعا. لم تدر كيف لكن هكذا فعلت. احتضنت الشعاع واحتضنها. نظرت إلى السماء إلى القمر المكتمل هناك. لاشيء مكتمل على الأرض.

منذ ساعات قليلة. قالت لحبيبها. « لنذهب إلى مكان مكشوف، ليحتضننا ضوء القمر المكتمل ». كان يقود سيارته. نظر خلال نافذتها. قال: « لا أرى شيئا سوى أضواء الشارع » قالت: « القمر فى السماء وليس فى الشارع ».

ربت على يدها القريبة منه. قال مبتسما: « القمر بجانبى فما حاجتى بقمر السماء ». قالت: « إننا فى حاجة إليه. هذا القمر المكتمل أنا فى حاجة أن أجلس معك فى ضوئه ». ليحتضننا ضوؤه ليعيد إلينا بعض اللمسات الشاعرية التى إفتقدناها على الأرض ».

قال : «ياحبيبتى : منذ الأمس وأنا منكب فوق أوراق : وفوق رأسى ضوء مصباح : لم أرد أن أخلف موعدى فجئت إليك » .

قالت : « بعد الانهماك فى العمل . الإنسان يحتاج للحظة هدوء وبعض السكينة . بجوار من يحب » .

قال : « صحيح .. لكن لابد أن أقابل الرجل الذى سأعطيه هذه الأوراق لأنه سيسافر غداً . بعدها نذهب إلى أى مكان ترغبينه » :

وكان المكان الذى توجه إليه مكتظ بالناس . مكتظ بالأصوات : نظر الرجل إلى الأوراق : قال كلمات استحسان ، وأخرج من جيبه مظروفا به أوراق مالية : وسأله أن يعدها . ربما لم يرد أن يعد النقود أمام الناس أو أمامها هى . فقال للرجل أن مابينهما ثقة .

انضم إلى المنضدة رجلان . تعرفهما جيداً . صديقان لحبيبها ، وفهمت أنهما لم يحضرا صدفة : بدأت تنكمش فى نفسها .

قال أحد الصديقين لحبيبها : « لون وجهك متغير » :

قال : « متعب قليلا كأن مرضا ما سيدخل جسدى » :

قال الصديق : يحدث تغيير بيولوجى فى جسد الإنسان يجعله

يشعر بالمرض قبل أن يحدث بتغير لون وجهه خصوصا ماتحت العينين . يشعر بتوتر . وبالنسبة للمرأة تشعر فوق هذه الأعراض بتهدل شعرها ولا تصلح أحسن يد مصفف شعر فى تصفيفه . ثم نظر إليها وسألها « أليس كذلك » ؟

قالت لتنهى هذه الثرثرة : « نعم » . ونظرت إلى حبيبها ترجوه أن يوفى بوعده لها ، ويخرجان من هذا المكان المزدحم . لكنه تجاهل رجاء نظرتها ، وكان بكل كيانه مع الرجل الكبير يستمع إلى مشاريعه هذه التى يوعده بالمشاركة فيها . فهل هذا هو المرض الذى دخل حياة حبيبها ويحدث له هذا التغير البيولوجى ؟!. لقد لاحظت هذا التغير فى لمسة يده الباردة عندما قال لها إنها القمر . لاحظت هذا فى نظرة عينيه الجامدة عندما تحدثت عن شاعرية ضوء القمر .

اقترح الرجل أن يذهبوا إلى ملهى . قالت قبل أن يوافق حبيبها أنهما على موعد . نظر إليها بدهشة ثم ابتسم وقال أنهما على موعد مع ضوء القمر . ضحك الرجال وسأل أحدهم « هل هناك قمر اليوم » ؟.

لعنت هذا الزمن المادى الذى لايجعل الناس ينظرون إلى السماء لحظة ويكتشفون وجود القمر وينعمون بضوئه ويحلمون .ويقولون كلام جميل عن الغد المختبىء . إذا كانت هذه الأشياء لم يعد لها

وجود . لماذا تراها هي : لماذا تريد الشيء غير الموجود . لماذا لاتستمتع بالوجود كما هو .

وجلست بجوار حبيبها فى سيارته ليلحقوا بهم فى الملهى الليلى .

أن يكون أمام الإنسان كل مظاهر السرور . وتدعوه البهجة أن يشترك ولايستطيع أن يفرح حتى مع أقرب الناس له . لابد أن هناك خللا قد حدث .

شعرت برأسها سينفجر . صيحات الرجال ورقص الغوازى . وأصوات تصنع ضجيجا بغناء لاينتمى إلى أى أنواع الطرب . همست لحبيبها .. أنها لاتحتمل الضجيج وتريد أن تنسحب . واستأذن الرجال ليوصل حبيبته .

قال لها : « ياحبيبتى لاتنزعجى هكذا . من أول تجربة . أنا أعمل لمستقبلى » .

ولما نظرت إليه متسائلة .

قال متداركا : « مستقبلنا معاً » .

وفى صمت الليل فى منزلها . وجدت هذا الشعاع من ضوء القمر مستلقيا على أرض الغرفة فاستلقت بجواره . احتضنته احتضنها . أرادت أن تحلم لم تستطع . أرادت أن تبكى . لم تستطع . وكأن هذا الشعاع من ضوء القمر يحتويها بامتنان إنه يشعر بها . كماتشعر به.

الحدث

فوجيء سكان الحى الذى كان راقيا برجل وسيم يجذب امرأة صغيرة شبه عارية من سيارته ويدفعها أمامه إلى باب عمارة كبيرة ، والمرأة تلف جسدها العارى بملاءة فراش مزركشة ، وتحاول أن تسير بخطوات ثابتة لولا دفعات الرجل من خلفها .

كان بعض السكان يجلسون أو يقفون فى شرفاتهم . اشمأز البعض وقال أحدهم : إن هذا الحى أصبح سوقيا بعد أن وطأته أقدام الطبقة الجديدة التى لا يعلم سوى الله من أين ثراؤها . واعتقد البعض أن هذا مشهد من فيلم يجرى تصويره ، وتعجبوا أنهم لم يشاهدوا معدات التصوير .

فى المصعد نظرت المرأة شبه العارية إلى زوجها وقالت باشمئزاز أنها تمقته ثم نظرت إلى المرآة لتساوى شعرها .

لقد عاد الزوج بدون موعد من السفر ، وجد ابنته ذات الخمس سنوات تتفرج على التليفزيون كادت تصرخ . بابا . لكنه سبق واحتضنها . سألها : أين الدادة . « فى الخارج » . سألها : أين ماما . . « فى حجرة النوم مع أونكل ». صمت وجهه الوسيم وحملها إلى حجرتها . وضع أمامها حقيبة مليئة باللعب وأغلق الباب .

سار بهدوء إلى حجرة النوم . نظر من ثقب الباب . ثم توجه إلى الشقة المجاورة . سأل عن جاره الضابط المتقاعد فوجده مع ثلاثة أصدقاء يلعبون الورق . سألهم أن يصنعوا له خدمة ويذهبوا معه إلى شقته بهدوء . فى تساؤل صامت ساروا معه . أشار لهم أن يتبعوه إلى حجرة النوم . وفى ذهول ساروا معه . فتح باب الغرفة فصرخت الزوجة . وكاد أن يغشى على هذا « الأونكل » الذى لا يعرفه . وقف الرجال الشهود فى وجوم . شكرهم الزوج وسألهم أنه ربما يستعين بشهادتهم فيما بعد ، وأغلق الباب خلفهم . وقد كان « الأونكل » يلملم ملابسه فى فزع ، فسأله الزوج أن يرتديها بهدوء ويخرج مسرعا . أما الزوجة المثيرة فقد منعها من ارتداء ملابسها حتى يأخذها هكذا إلى بيت أهلها. شتمته وقالت : إنها تكرهه وعليه أن يطلقها ويخرج هو من شقتها . قال بهدوء أنه سيطلقها طلاقا بينا وسيحتضن ابنته . وجذبها من الفراش فتمكست بالملاءة . وهكذا صحبها إلى بيت أهلها .

فتح الأب الباب ونظر إليهما مبتسما . ظنا منه أن ابنته ترتدى شيئاً حديثاً . سارى هندى مثلا من هذه الأشياء التى يشتريها لها زوجها من رحلاته . لكن ترحيبه توقف على شفتيه عندما نظر فى عيونهما . دفعها الزوج أمامه وهو يقول : « تفضل يا بك ابنتك الخائنة » . فالتفتت إليه وقالت إنها تمقته . حاول الأب أن يهدىء من الموقف وجاءت الأم مسرعة .

بدأ الزوج يحكى عن شكه فى سلوك زوجته بالرغم من كل الأشياء الجميلة التى يصنعها لها . وقد عاد فجأة ليصمت شكه . لكن ... وأثناء روايته للحدث كانت زوجته تنفث دخان سيجارة بضيق سحبتها من علبة سجائر أبيها الذى أشعلها لها . قالت الأم أنه كان لا يصح أن يخرجها من بيتها على هذه الصورة . فرمقها الأب بنظرة صمتت بعدها . ثم أمر ابنته أن تقوم وترتدى شيئاً وأنه سيسوى الموضوع مع زوجها . لكن الزوج الذى لم يفقد هدوءه بالرغم من الغضب أعلن أنه لن يرجعها إلى بيتها وسيحتضن ابنته ؟ وإذا لم يسو الموضوع فيما بينهم فهناك محكمة وشهود للحدث . واستأذن . وانصرف .

فى وجوم جلس الوالدان لحظة . قال الأب كأنه يحدث نفسه . « شاب وسيم . غنى . اخترته لها من بين العشرات وهى رضيت به ست سنوات وأنجبت . أسعدها وهناها وزارت معه بلاد العالم . لماذا تفعل هكذا .. وفى بيتها !!! » .

ثم قال مبتسما أن البنت مثيرة وأنوثتها طاغية مثلما كانت أمها »
فقالت الأم . « لكنى لم أخنك يا سيد الرجال» . قال مبتسما أنه كان
يعلم ببعض شقاواتها . فارتبكت وقامت لترى ابنتها .

وانتشرت حكاية الحدث فى الحى الذى كان راقيا . وفى
الحى الذى كانت تسكنه الزوجة . وقد كتبت إحدى المجلات
ما حدث بلا أسماء .. وظهرت مخاوف الأم على ابنتها وهى مازالت
فى عز شبابها . فطمأنها الأب ألا تخاف ما دام هو موجودا .

وكان على حق . فقد تقدم عدد كبير من الشبان الطموحين
للزواج من المطلقة المثيرة الصغيرة صاحبة أشهر فضيحة . ابنة
رجل الأعمال الثرى » !!

لماذا ليس لك هذا ؟!

كان « أ . ع » جالسا أمام التليفزيون مع والدته وأختيه اللتين أصبحتا على وشك التخرج من الجامعة . جلسة عائلية يحبها ، خصوصا عندما يجد نظرات الرضا فى عينى أختيه اللتين صمد من أجل تعليمهما . ودعوات أمه أن يزيده الله من نعمه ويعوض عليه ماصرفه عليهما ليجعلهما سعداء بعد وفاة والده .

نظر إلى هذه الإعلانات التليفزيونية التى يضايقه معظمها لافتقارها إلى الذوق الفنى . وعندما ظهرت « وزة » فى إعلان يهتف « تحيا مصر » قالت إحدى الأختين ضاحكة « الوزة أصبحت وطنية » .

سرح خيال « أ . ع » وعاد به إلى سنوات بعيدة مضت عندما سمع مثل هذا التعبير من حبيبته . كانا يذهبان من حين لآخر إلى مطعم على أطراف المدينة أمامه مزارع وترعة . وكان على

الجانب الآخر مجموعة من الأوز تسبح : تنام : أو تلهو . وذات يوم لم يجدا الأوز وحزنا ، فقالت حبيبته لابد أن الأوز قد ذهب ليعمل عملا وطنيا ، ويجمع دودة القطن مثلا . كم كانت ضحكاتها حلوة . حبيبته التى لم يستطع أن يتزوجها . وتكدر لهذه الذكرى.

ثم ظهر على الشاشة إعلان من هذه الإعلانات التى تستفزه : غناء ورقص على أنغام زاعقة ، لافتتاح متجر كبير . ورفوف مرصوصة : بمختلف البضائع المستوردة . ثم ظهر صاحب المتجر يحيى الزبائن وتسمرت نظرات « أ . ع » على هذا الرجل ،معقول هذا المحتال الفاشل فى دراسته أصبح صاحب متجر ؟!. إنه يعرفه منذ صباه وشبابه الملىء بالأحداث المخجلة وقد اختفى سنين طويلة لم يعد يطارده يتسول منه جنيها أو صحبة . وقد شعر بارتياح عندما اختفى من حياته لكن ها هو أمامه يعلن إعلانا سوقيا يليق بمقامه عن بضاعته : ويبتسم ابتسامة لزجة وهو جالس خلف مكتب فخم وفى يده سماعة تليفون :

عرف من الإعلان موقع هذا المتجر واستأذن من أسرته . نزل مسرعا ليسأل صاحبه من أين له هذا؟!

لسنا فى حاجة إلى سرد حياة صاحب المتجر . لكن يجدر بنا أن نلقى ضوءا على « أ . ع » لنعرف لماذا لاتزال مثل هذه الأمور تدهشه .

كان الابن الوحيد لسنوات طويلة واعتنى أبوه بتربيته الدينية والعلمية ، ومنذ صغره وبتوجيه من أبيه وهو يميز بين الخطأ والصواب بسماحة وبلا تطرف . وعندما انتهى من دراسته فى كلية التجارة مرض أبوه وأوصاه أن يعطف على أختيه ولا يتركهما إلا بعد أن تكملا تعليمهما وتتزوجا .

وهكذا حمل « أ . ع » وصية أبيه كرسالة مقدسة على كتفيه. بالمعاش القليل وبعمله شق الحياة محبوبا من زملائه ومقدرا من رؤسائه ومع ذلك فهو لم يستطع طوال السنوات الاثنتى عشرة فى العمل أن يقتصد مليما . ولا يستطيع أن يشترى ملابس إلا فى أوقات الإضافى والمنحة السنوية . وبطبيعة الحال لم يستطع الزواج من حبيبته . لكنه كان مؤمنا أنه بإتمام رسالة أبيه ، وبدعوات أمه ستعوضه الحياة عن متاعبه . ولأنه ليس ملاكا فهو أحيانا يصيبه شعور بالتذمر والغيظ والحقد وربما كان ذلك سببا لاندفاعه خارجا من بيته .

فى المتجر الكبير سأل عن صاحبه وأشاروا له على مكانه . حجرة جانبية مكيفة الهواء ومكتب فخم هذا الذى ظهر جالسا خلفه فى إعلانه . قام الرجل مرحبا بأعز أصدقائه وسأله عن أحواله وتعجب أنه لم يتزوج ، وأراد أن يذكره بأيام الصبا والشباب ليضحكا . وقال أنه مدين له بالمال وبالصداقة النقية . فكان الوحيد

بين زملائه الذى يفتح له قلبه ويعطيه من جيبه . وهو يسعده أن يرد إليه بعض جمائله عليه : وقال « أ . ع » أنه لم يحضر ليطالب بديونه القديمة . لكنه جاء إليه بعد أن شاهد هذا الإعلان السوقى الذى يعلن به عن بضاعته ليسأله من أين له هذا ..؟!

نظر إليه الرجل بدهشة . ثم ابتسم . ثم ضحك . وجذبه من يده ليفرجه على المتجر . وقال وهما يتجولان أنه قد تزوج ابنة تاجر كبير استخدمه فى تجارته سنين وتعلم منه المهنة وانفصل عنه وفتح هذا المتجر . هز « أ . ع » رأسه ولم يصدقه . حاول الرجل أن يعطيه هدية ثمينة ورفضها . سأله أن يعمل مراجعا لحسابات متجره كعمل إضافى يزيد من دخله . قال « أ . ع » ساخراً إن هذا ربما يعرض الرجل للسجن وهو يفضل أن يكون بعيداً . سلم عليه لينصرف فقال له الرجل :

« سألتنى ياصديقى من أين لى هذا ..؟! .. وربما لم تصدق إجابتى . وقد عرضت عليك أشياء كثيرة ورفضتها فلابد أن تسأل نفسك . لماذا ليس لك هذا » ..؟!

عندى كل شيء ..

ارتدت ملابسها وخرجت . لتسير فى الطرقات القريبة من مسكنها . لتشاهد معروضات المحلات التجارية . لتشترى أى شيء . كانت واعية لما تفعل . إنها فقط تريد أن تحرك عضلات جسدها ولتسير . اليوم أجازتها الأسبوعية ولم تخرج . أصبحت تكره الأجازات الأسبوعية هذه التى كانت تفرح بها . سارت فى الطريق . كانت واعية لما تفعل . هزت رأسها بابتسامة ساخرة كانت تسخر وتشفق على النساء من جاراتها اللاتى يخرجن إلى الطريق بلا هدف ويطفن بالدكاكين ويشترين أى شيء . كانت تقول : مسكينة هذه زوجها مشغول عنها . مسكينة هذه زوجها مسافر أو هجرها وهذه .. وهذه . وهن لايعملن لابد أن يخرجن ويحركن عضلاتهن ويشترين أى شيء . عملية الشراء تبدد الوحدة . سرور وقتى لأى شيء جديد . وكانت تتعجب من أحاديث هؤلاء

النساء مع البائعين . هي لم تتحدث حديثا ودياً مع بائع . دائما كانت تدخل المحل وهي تعرف ماذا تريده وتشتريه . تشكر البائع وتخرج . كانت واعية لما تفعل . ها هي ذاهبة لتشترى أى شيء وليس شيئا محددا ، وتريد أن تتحدث مع أى أحد ويبادلها الحديث. يبدد صمتها طول اليوم لم تجد واحدة من صديقاتها. يخرجن كما كانت تفعل فى يوم الأجازة بصحبة أزواجهن أو أصحابهن .

دخلت محل « خردوات » أشياء كثيرة تباع فى مثل هذه المحلات . كان الشابَ يتحدث مع فتاة ومعه أبوه ، تعرف الرجل العجوز السمين لكنها لم تبادله يوما الحديث إلا فيما تريد شراءه ، اقترب منها الرجل العجوز « تفضلى ياهانم . ماذا تريدين » . . « علبة سجائر » .. « تفضلى ياهانم .. لكن لاتفسدى جمال وجهك بالتدخين » .. ابتسمت للرجل العجوز ..

قالت : « لا أدخن كثيرا » . « ماذا تريدين أيضا . . عندى كل شيء » نظرت إلى البضائع المعروضة ، ووقعت عيناها على ظروف خطابات البريد الجوى . أشارت إليها . قال الرجل وهو يحضر ما تريده . . « ربنا يقرب البعيد . . ويعيد الغائب إلى أحبابه » همست . « ياريت » . . لاحظ الرجل نظرة الحزن فى عينيها . قال مبتسما . « هذه الظروف فيها بركة .. كم تريدين ؟ » . « عشرة » . . « واحد . . اثنين . . عدى ورائى ياهانم » . .

ابتسمت .. « أنا خائبة فى الحساب » ..وأنت لست خائبة فى شىء .. هذا الجمال الطيب لا يمكن أن يكون خائبا » . كادت تقول للرجل عن خيبتها .. وربت على كتفها بحنان ليواسيها فى شىء لا يدريه . « أريد علبة قهوة » .. ووقعت العلبة على الأرض والرجل العجوز يحضرها فانحنت هى وأخذتها أمسك يدها وانحنى قبلها « أشكرك ياهانم على مساعدتى . . أنا رجل عجوز لكن أحب أن أعمل . أكره المكوث فى البيت» . « يعطيك الصحة . . أنا أيضا أكره يوم الأجازة » . « تعملين ياهانم أقدر المرأة العاملة . . ماذا تريدين أيضا » نظرت إلى البضائع .. « علبة مناديل » . « لا تدبلى عينيك الجميلتين بالدموع » .. نظرت إليه وكان بريق دموعها المحتبسة يطل من عينيها لاحظ الرجل العجوز وأراد أن يضحكها .. « هل جربت هذا الشامبو ياهانم .. يجعل شعرك كالحرير » . . ضحك وهو يقول « مثل إعلانات التليفزيون » ضحكت وهى تأخذ منه الزجاجة .. « أى شىء آخر ياهانم .. عندى كل شىء » .. « أشكرك هذا يكفى .. عندك كل خير » . ناولته ثمن ما اشترته . . « شرفت ياهانم محلنا » .. وسارت منتعشة بحديث الرجل العجوز وما اشترته من أشياء لاتريدها تماما . لحظات قصيرة مدت صمت اليوم .

الأستاذ والراقصة

ذهب الدكتور الأستاذ العالم فى الرياضيات إلى حفل زفاف أحد أقاربه فى فندق كبير : ذهب الأستاذ مضطرا تحت إلحاح ابنته الوحيدة التى يربيها وحده بعد وفاة زوجته الحبيبة. فهو لا يحب ضجة الأفراح والعيون المتطفلة. خصوصا نظرات النساء الوحيدات عندما يعرفن أنه رجل وحيد فيدعونه بنظراتهن أن يشاركهن وحدتهن:

ذهب الأستاذ مضطرا ولتكن بضع ساعات يعرف فيها ماذا يدور فى المجتمع : وكم وصلت تكاليف مثل هذه الأفراح فابنته الوحيدة تقترب من سن الزواج : وقد رحب أصحاب الفرح ترحيبا خاصا بقريبهم الدكتور الأستاذ لتشريفه حفلهم : وأجلسوه خلف منضدة فى الصدارة متميزة :

عندما بدأ المختصون بصنع الضجة يعدون آلاتهم الموسيقية قال أحد المشتركين معه فى المنضدة أن الراقصة التى سترقص هى فلانة

المشهورة المتميزة . انفرجت شفتا الأستاذ عن ابتسامة صغيرة عندما بدأت الراقصة تؤدى واجبها . إنه لا يعرف شيئا عن هؤلاء الراقصات لكنه يتذكر اسم هذه الراقصة : لقد سمعه يوما من أحد زملائه الأساتذة وهم يتحدثون عما يحدث فى المجتمع حولهم من مفارقات : وقيل اسم هذه الراقصة وأنها تتقاضى فى الحفلة الواحدة ما يتقاضاه أستاذ الجامعة فى شهر » ولما سأل لماذا هذه الراقصة يأخذونها مثلا ، قيلت له هذه العبارة : إنها متميزة : وأن هذا هو الفرق بين حظ « العوالم » وحظ « العلماء » فى بعض المجتمعات .

ابتسم الأستاذ والراقصة تقترب منه ، فابتسمت له وحيته تحية خاصة ، حتى أن السيدة التى كانت تجلس بجواره سألته بخبث إذا ما كان يعرفها من قبل ؟ ! . بدأ يتأملها . هى فعلا متميزة : وجهها جذاب . جسدها جميل بلا ابتذال فهى لا ترتدى مثل بقية الراقصات رداء فاضحا . رشيقة .. حركات رقصها : حتى إنه إذا كان شاهدها فى رداء عادى جالسة وسط المدعوات لأعجب بها وربما .. وسأل نفسه . ربما ماذا يا أستاذ ؟ ! »

حقيقة الكل يدعونه إلى الزواج حتى ابنته بعقليتها المتفتحة تحدثت معه فى هذا الموضوع : وإنها سوف تتزوج يوما وسيكون وحيدا فلماذا لا يتعجل بالزواج وهو ما زال فى سن تسمح به ؟!.

فربما ماذا يا أستاذ ؟! .. هل ستعشق راقصة وتتزوجها ؟! .. مع ضجيج الموسيقى الشرقية للراقصة تذكر رواية « الملاك الأزرق » التى قرأها يوما ومثلتها فى السينما ممثلته المفضلة فى الأربعينيات « مارلين دتريش » ثم أعادوا إخراجها بممثلة أخرى لا يتذكرها لكنه يتذكر القصة . ربما لأنها عن أستاذ جامعى محترم أحب راقصة فى ملهى ليلى .

ابتسم لهذا الخاطر والتفت إلى الراقصة وكانت تنظر إليه فابتسمت له . تأملها قليلا وتخيل نفسه معها فى غرفة خالية . نظر بخجل فى وجوه المشتركين معه فى المنضدة كأنهم شاهدوا خياله معه . لكنهم كانوا ينظرون للراقصة .

ثم عاد وتذكر أحداث الرواية . وكيف أهين الأستاذ الجامعى تحت أقدام الراقصة . وترك عمله وعلمه وتفرغ لها . وكلما زاد حبه لها زادت إهانتها له . سلبت إرادته تماما حتى انتهى به الأمر إلى أن يحمل صندوق سجاير يبيعها لرواد الملهى . تخيل نفسه وقد صار عاشقا مهانا لهذه الراقصة . وشعر بالأسف لحاله .

فى هذه اللحظة اقتربت منه الراقصة وحوطت عنقه بذراعيها ومالت عليه قليلا ، فرجع إلى الوراء مذعورا وصفعها وسط ذهول الحاضرين . توقفت الراقصة ولذهولها لم تتحدث .

جاء أحد أصحاب الفرح مسرعا ليتدارك الموقف . لكن الأستاذ كان فى قمة الانفعال فقال كلمات لا يذكر ما هى وخرج غاضبا : جرى خلفه أصحاب الفرح ولحقت به ابنته مذعورة : قالت إنها ستنصرف مع أبيها لأنه لابد متعب :

قال المدعوون أن الأستاذ رجل محترم وشعر أنه قد أهين بفعلة الراقصة . وماذا لو كان ضمن الموجودين أحد طلبته . ماذا سيقولون عنه فى الجامعة ؟ ! : قالوا : وقالوا : ولم يعرف أحد حقيقة ماذا كان يفكر فيه الأستاذ فى تلك اللحظة الملعونة .

لست انا ...

نظرت إلى وجهى فى المرآة . كأنى أرى صورة ثانية . إنسانة لا تنتمى إلى . ولا أنتمى لها . لست أنا . هل هو إرهاق . أم تعب عمل . أم خيبة أمل ، أم شعرى طال .أم لونه بهت . أم أنا بهت. أم عواطفى نضبت . من هذه التى فى المرآة ؟ لست أنا .

علمنا أستاذنا أن نخرج من داخل أنفسنا فى حالات الضيق والحزن والضجر . وخرجنا كثيراً من داخل أنفسنا حتى كدنا نتوه عن طريق العودة لها . فى عملنا نساعد الفقير بمعونة، نبحث للعاطل عن عمل ، نؤوى أسرة تحطم بيتها ، نكتب استمارات علاج لحالات المرض . نعطى الأمل .

فى عملنا ينسون كثيرا موعد علاواتنا . بعضنا عاطلون فى العمل . بعضنا يعيشون فى بيوت محطمة . ونحتاج فى أوقات كثيرة لمن يعطينا الأمل .

بالأمس كنت جميلة . منتشية فى انتظار اليوم . أعد الكلام والعتاب . لكنه لم يأت ولم يعتذر . لماذا أحمل العلاقة التى بيننا أكثر مما تحتمل . لماذا أقع فى خطأ التصور والأمل . لماذا كلما وقعنا فى الحب كأننا نقع فى الخطأ . ولماذا نكرر أخطاءنا ؟ !

علمنا أستاذنا ألا نجعل أحزان الناس تؤثر فى معنوياتنا . نحن الذين نحمل أحزان الناس هل يمكن أن يحمل عنا أحزاننا أحد ؟ ! لم يعد أحد يحتمل أحداً ، إننا نحتمل لأن هذا هو عملنا وكسب عيشنا .

منذ الصباح القاتم بالسحب والدنيا كأنها مغلقة . تعطلت سيارة الأتوبيس . وانكسر كعب حذائى . ولم يجهز ردائى الجديد . وتعطلت مطبعة الإستمارات ، واضطررنا أن نكتبها بخطنا ، هكذا تأتى بعض الأيام مغلقة ، منذ الصباح وأنا أقاوم هذا اليوم المغلق بابتسامتى ، وأقول فى المساء سيبتسم كل شىء بلقائنا وسأبتسم حقيقة ، لكنه لم يأت وأغلق اليوم تماما . سألنى أستاذى يوما مداعبا : ألم أجد بعد فتى أحلامى ؟ ! قلت : « أجده من حين لآخر » واهتم مستفسرا .

قلت : « كأن السماء تعطينى من أحلم به تماما . تلوح لى به . هذا ما تريدينه .. هذا من تريدينه . ثم تبعده فى ظروف معاكسة » :

قال جاداً : ألا أفقد الثقة فى عدالة السماء .

فى مكان انتظارى لمحيى صديق لم أره من زمن . أقبل على متلهفا . وظنت العيون المحاصرة أنه الذى أنتظره مبكرة .

قال : تزدادين نضجا . وتزدادين حزنا . أكاد أبكى ماالذى يحزنك » ؟ !

قلت : « ربما لم تعد هناك أشياء جميلة فى حياتى » .

قال : « أنظرى إلى صورتك فى المرآة »

هأنذى أتأمل صورتى فى المرآة .. قبيحة . باهتة . لست أنا .

لماذا قلت أحبك

كلمة بهذا المعنى الكبير لايصح أن تلوكها الألسن بمناسبة وبدون مناسبة..لايصح أن يقولها أحد إلا إذا شعر بها حقيقة وليس لمجرد لحظة حلوة أو جو جميل محيط أو ضغط عاطفى ..لايصح أيضاً أن تقال فى الوقت الخطأ .

كانت تلك الليلة آخر يوم لانتدابه فى مصنعنا للدراسة وتحسين إنتاجه .. وكان كفؤا لهذا العمل .كنت الملازمة له . والعاملةمعه. نتبادل الاقتراحات والمناقشات وأحيانا نظرات الإعجاب . إلىأن نجحت مهمته . فى تلك الليلة سعدت بشعور النجاح وشعور آخر فى داخلى . وقال: لنحتفل بنجاحنا فى مكان بعيد عن ضجةالآلات وضجة كل شىء . وقاد سيارته . كان القمر بدرا والمكان هادئا . وموسيقى تصدح كأنها تخرج من أعماقنا . قال أن مساعدتى له سبب نجاحه وقبل يدى . وكانت مشاعرى متألقة . بنشوة النجاح

ووجودى معه : نشوة الوجود عندما نجد أنه ليس عبثا وجودنا وأننا لسنا وحدنا . أحبك .. قلتها . واحتضننى . وكانت قبلاتنا . كانت ليلة رائعة وخيل إلى أنها بداية كل شىء .

لكن أحيانا تخدعنا نهاية الأشياء فنظن إنها بدايتها . بعدها اختفى . انتهت مدة انتدابه واختفى . وظل شعور مثل الحرج ينتابنى : وأتساءل لماذا قلت كلمة كبيرة هكذا دون أن أعرف مشاعره نحوى . فهل أردت أن أستبقيه بهذه الكلمة بعد أن انتهت فترة عملنا معاً .. ربما .. كان اختفاؤه شيئا مثل الجرح لنفسيتى . كأننى خلعت ملابسى أمامه واختفى فى اليوم التالى .. ! أحيانا نشعر أننا عرايا عندما نفصح عن مشاعر أعماقنا . ولم أحاول أن أبحث عنه أنا .. جاءت سيرته يوما أثناء حديث مع زميل لى وقال أنه سافر إلى بلد عربية أعارته إحدى الشركات لكفاءته . وأخفيت ابتسامتى .. اليوم وبعد شهور طويلة وصلتنى برقية بامضائه .. « أحبك » :. كتبها ، لم يخفق قلبى فرحا . لم أستطع تذكر ملامحه . لماذا الآن .: ! بعد اختفاء مشاعرى نحوه . حتى شعور الحرج والألم . وهمست للبرقية .. لماذا قلت أحبك ! .

لحظة شوق

شجرة الياسمين بدأت تزهر لفتت نظرى وحاسة شمى فى أول موعد معه .. بجانب مكان لقائنا مررت بها .. قطفت من زهورها .. وكنت خفيفة مثلها بالفرح .. أعطيته بعضها قلت : « أحب زهور الياسمين والفل » .. قال . « وأنا أحبك » .. لم أتعجب من قوله الكلمة فى أول لقاء وحدنا : كنت أريد أن أقولها له .. واستعرت كلمة الحب للزهور . كل موعد أذهب إليه يلقى بالزهور الذابلة وأعطيه الجديدة وتبقى رائحة الياسمين فى أنوفنا .. على مسام جلدنا ... أصبحت رائحة جلدنا حلوة لفترة من الزمن . . وأيضاً رائحة عرقنا .. قال . « الإنسان عندما يحب تصبح رائحة عرقه حلوة » .

اليوم وقفت بجوار شجرة الياسمين . . أنظر إلى زهور الحب.. قطفت بعضها . كان الأمل بيننا منعشا مثل جمال رائحتها والحلم

بلونها الأبيض العذرى .. فقدت الآمال والأحلام جمالها وعذريتها بالجرح .. بعض الناس عندهم قابلية سهلة للجرح .. نظرت إلى اليد السمراء الخشنة الممدودة إلى بمزيد من الزهور . وابتسم الجناينى وهو يقول « الشهور القادمة وقت سخاء الزهر » .. أخذتها ووضعت بدلها فى راحة يده نقودا صغيرة .. سألنى أن أذهب إليه كل يوم أقطف ما أريده من زهور .. ابتسمت وتذكرت .. لقاؤنا فى العام الماضى كان وقت سخاء الزهور .. وكانت عواطفنا أيضاً سخية .. كلمات الرجل المرحبة أثارت شوق الذكرى .. هذه التى أصبحت مثل غصة حزن .

عندما لا نرتاح فى الحاضر ينتابنا حنين للأمس .. حتى وإن كان ذلك الأمس فقد بالجرح .. هل يمكن أن تثير زهور الياسمين شوقه إلى ؟! .. أم انها لم تعد تلفت نظره وحاسة شمه ! .. أم هو مرتاح فى حاضره ؟!

هذه الأخرى احتلت مكانى .. لم تسرقه منى .. هو فضلها على .. أولا .. قال إنها تساعده فى عمله .. وجهها فأل حسن عليه .. كثرت أعماله ! .. وتكررت أعذاره .. قلقت .. مرضت .. شعرت بغربة بين ذراعيه فابتعدت .. سألنى بعد شهور لماذا ابتعدت ؟ قلت . « لا أحب الحب عندما يوجع مصارينى » .

ضممت زهور الياسمين وسرت إلى مكان لقائنا :. سألتنى صديقة .. لماذا تأخرت .. سألتنى أخرى .. لماذا اخترت هذا المكان ؟! .. وضعت الزهور أمامنا .. امتدت الأيدى إليها .. طافت عيناى بالمكان تبحثان عنه .. هززت رأسى متعجبة . أشياء صغيرة تثير أشواقنا القديمة ، وتطفو على سطح مشاعرنا لحظة من الزمن لا يصح أن نتركها تستمر .. وانهمكت فى الحديث مع الصديقات .

واحدة من قصص الحب

منذ الصباح وأغانى أكتوبر الحماسية تلهب مشاعرى . هذه التى ظهرت فى تلك الفترة الأولى من الحرب . كأنها أغانى حب. كنت أطير بالأمل. .بالفرح برغبة كبيرة للعطاء. منذ الصباح وأنا أتذكر مشاعر تلك الفترة . أتذكر حتى شعور الدهشة . أتذكر ذلك الوجه .

التقينا فى عنابر المرضى . الجرحى . بجوار فراش جريح كنت أعتنى به . سألنى أن أسند له ذراع الجريح ليكشف عليه . وفعلت . سألنى هل أنا قريبته هززت رأسى بالنفى . لاحظ أننى أجيد إعادة الضمادات ولاحظت هذا من نظرة عينيه . قلت « أنا متطوعة . لى دراية بالتمريض » . وقال : « ستساعدينني لأنه ليس كل أحد يجيد هذه الطريقة فى التضميد » . وفرحت.

فى تلك الفترة نشأت قصص حب كثيرة فى عنابر الجرحى . فى مجالات كثيرة متعلقة بالحرب . وكنا واحدة من قصص الحب .

بعد تلك الفترة استمرت بعض قصص الحب وانقطع بعضها أو حدثت لها ظروف معاكسة كما حدث لقصتنا . لا أدرى تماما من منا كان سببا فى انقطاع قصة الحب . حدثت بيننا مشادة . تباعد لقاؤنا . وكانت آخر كلمات منه فى بطاقة صغيرة من بلد بعيد خارج القطر . يعرفنى أنه يعمل هناك . ولم أرد .

تساءلت : هل انتهت القصة بانتهاء عملنا معا ؟ تساءلت : هل حبنا كان مجرد عدوى من الحب الكبير الذى عشناه وسط جرحى الحرب ! لكن منذ انقطاعنا لم أستطع أن أحب . أحاول أن أقنع نفسى أن القصة انتهت بانقطاعنا . لكن كثيرا ما أجدها موجودة بالرغم من انقطاعنا . انشغلت وتشاغلت بعملى وبمطالب حياة كل يوم . أتذكره أحياناً . وتلح على الذكرى كما حدث اليوم . أحفظ عنوانه بالرغم من أنى لم أكتب له . كتبت له فى بطاقة صغيرة . كلمات قليلة . ونزلت لأرسلها له . فى صندوق خطاباتى وجدت بطاقة منه . بها كلمات قليلة مثل كلماتى « كل سنة وأنت طيبة . مازلت أحبك » وكلمات أكثر من كلماتى . « سأحضر قريباً . أرجو الرد » .

كم ٠٠ كم كنت أحبك !

سارت إلى أن تعبت ، واختنقت من حرارة الجو . ليس هناك أجمل من مكان مكيف الهواء . دفعت الباب . هذا المكان مرسومة على مقاعده ذكريات لوجوه صادفتها فى الحياة . . والكلمات تظل ذبذبتها فى المكان . يستطيع الفرد أن يسمعها بأن يضغط على زر معين فى ذكرياته فيعود إليه صدى تلك الكلمات . يتعجب . أو يفرح . أو يحزن.. دارت عيناها فى المكان. توقفت ، نظراتها على وجه . لحظة عادت بها إلى الوراء عامين . لحظة حسبت أنها فى زمن فات .

لحظة نظر إليها فاغرا فاه .لحظة تساءل. هل هى ؟ .ابتسمت. وقام مرحبا . سألها أن تجلس معه . سألته بحرج هل ينتظر أحدا؟.. لا . سألها نفس السؤال . . لا . . الحديث عن الجو يسعف فى مثل هذه الحالات . قالت أنها شعرت بضجر من يوم الأجازة وحرارة الجو فجاءت إلى هذا المكان . قال : تبدين أكثر جمالا..ماذا حدث؟

— أحداث . . وأحداث

— أحيانا الأحداث تطفى بريق بعض الناس .

ابتسمت — « لأشكر السماء أنني من الذين تلمعهم الأحداث ». طافت عيناه بالمكان قال : «كنا نجلس هنا . . وهناك » ضغطت على زر الذكريات وسمعت صدى ذبذبات صوته فى أول لقاء . تلك الكلمات الموعدة بالفرحة والأمل . سمعت كلماتها لنفسها فى آخر لقاء ، ذلك الذى لم يحضره لأنه قد قرر الاختفاء . رأته مرة صدفة. وحدثته مرة أخرى تهنئه على عمل قام به .

قالت : هل تصدق . تذكرتك هذا الصباح عندما كنا نخرج يوم الأجازة إلى الأماكن النائية . كأنى أستحضرك كما يستحضرون الأرواح الهائمة .

قال : تذكرتك أيضا عندما جئت هنا . ما بيننا ليس طبيعيا. ويبدو أنه لم ينته .

قالت : العلاقات تنتهى ويبقى صدى ذبذبات الكلمات .

أراد أن يصمت شفتيها بشفتيه . كما كان يفعل عندما تقول شيئا لا يفهمه أو لا يريد أن يسمعه . وشعرت برغبته .

ذهب الحرج . تحدثا كأن ما بينهما كان مجرد صداقة أو زمالة قديمة . كأن لم يكن بينهما تلك القبلات . ومغامرات اللقاء . وتلك

الكلمات مثل : . أنت من كنت أبحث عنها وأحلم بها ، مثلى ، ،
لا أستطيع تصور حياتى بدونك : : غريبة عواطف الانسان ،
تبادلا السلام ، سارا كل فى اتجاه ، وأثر لقاء الصدفة يدغدغ
ذكرياتهما : كم من كلمات واعدة قالاها : كم من خفقات حلوة
استشعراها . كم من أماكن جمعتهما : التفتا بعد عدة خطوات ،

التقت نظراتهما : : وكم : . كم كنت أحبك :

ماذا أريد أكثر من هذا ؟!

– أليس هناك إنسان يحبك .. يهتم بك ؟ !

هزت رأسها موافقة .. نعم

– ألست تحبين هذا الإنسان .. تهتمين به ؟ !

هزت رأسها موافقة .. نعم

ارتفعت نبرات صوته : (ماذا تريدين أكثر من هذا ؟!) .

انخفضت نبرات صوتها – (لا شيء) ..

إنها لا تعرف التعبير المباشر عن أحلامها . نعم هناك أشياء كثيرة تريدها .

أليس من حقها أن تريد الأمل فى حبها . وأن تستمتع حقيقة بهذا الحب النادر المتبادل مع حبيبها ؟ !

تتغذى أحلامها بالاعلانات التى تراها فى المجلات وعلى الشاشة الصغيرة .

عن المقاعد والجلسات المريحة ، حجرات النوم والأحلام السعيدة . المطابخ المستوفاة بالآلات الحديثة . والحمامات ذات الألوان المبهجة . لكن ألم تحلم أيضا بهذا الحب النادر بهذا التوافق. ماذا تريد أكثر من هذا ؟ !

ربما أرادت أن ترى استقرارا ما فذهبت إلى صديقة تسكن فى حى هادىء . أشجار جميلة تحيط المكان وأصوات العصافير تصنع ضجة محببة . وقفت أمام البناء الراسخ الكبير . . هكذا يكون البناء . وهكذا ينتقى الناس القادرون أو المحظوظون مكان سكناهم . لقد تعبت من الحى الضجر المزدحم الذى تسكنه .. كان من زمن حيا هادئا . لكنهم شقوا وسطه طريقا هاماومدوا خطوطا للترام وسارت فيه مركبات المواصلات ولنكد الحظ جاء منزلهم على حافة هذا الطريق الهام .

تعبت من الضجة ومن هذه الهزة الأرضية التى تحدث كل عدة ثوان أو دقائق من مرور المركبات الضخمة وعدم انتظام الشارع . أما هذا البناء فلا تمر أمامه مركبات قذرة وليست هناك هزات أرضية تقلق راحة سكانه . ربما تحدث لهم هزات نفسية وهى على أى حال لا تحدث كل دقيقة أو عدة ثوان .

فرحت صديقتها بهذه الزيارة المفاجئة . هذه الفرحة التى يظهرها الفرد عندما يفكر فى شيء ويجده مباشرة أمامه . قالت الصديقة إنها كانت تفكر فيها لأن صديقا لزوجها سألها عن (عروسة) مناسبة ولم تجد واحدة تناسبه سواها . قالت لصديقتها أنها وفقت فى حب نادر متبادل .

قالت الصديقة متجاهلة تصريحها أن الرجل يملك شقة فى البناء الراسخ المقابل : تزوج صغيرا وترمل صغيرا : والعثور على شقة فى هذا الزمن أندر من العثور على حب متبادل ، وإذا لم تجد الحب المتبادل فى البيت يمكنها أن تجده خارجه !

قالت لصديقتها بثقة أنها تعيش قصة حب نادر متبادل .

وصرخت الصديقة . . (وماذا بعد ؟ !) :

قالت بابتسامة (وماذا أريد أكثر من هذا ؟ !)

الأيــام الأولى

اعترتها هذه الرغبة التى تصيب بعض الناس فيذهبون إلى أماكن محددة بالذات ، يجترون ذكرياتهم فيها . هذه الرغبة المغلفة بالأشجان والشوق لتلك الأيام الأولى فى علاقة حب . مكان بدأ فيه حب جديد وفرحة تحيطها آمال لأيام جميلة .

اعترتها هذه الرغبة وسألته أن يقابلها فى ذلك المكان المحدد . فكرت أن تنهى علاقتها به فى نفس المكان الذى بدأتها معه فيه . وهى ذاهبة ، تذكرت تلك الأيام الأولى عندما كان يذهب مبكراً ينتظرها ، وتذهب فرحة مثل ورود الربيع .. مليئة بالحيوية . مثل الزرع المغسول كان شعرها .. « يهفهف » مع نسمات الهواء الجميلة فى تلك الأيام الأولى للحب المليئة بالنشوة المختبئة .

دخلت المكان . لم تجده . لم يكن هناك شىء أهم من لقائها . ولم يكن هناك شىء أجمل من نظرة عينيها . هكذا كان يقول لها فى

الأيام الأولى . جلست متعبة كأنها سارت مشواراً طويلا . جاء متأخراً . معتذراً . شعور جارف بالنوم اعتراها . كأن العالم ارتكز على رأسها .. فوق جفون عينيها . ثقل هذا الارتكاز وجعلها تشعر بالنوم . كأنها تهرب من الحياة . أليس جزءا من النوم فقدان الحياة ! .. وعندما بدأت حديثها تثاءبت . شعرت بسخافة ما تريد أن تقوله . صمتت . أرادت أن تضع رأسها على كتفه .. فوق صدره وتنام . رأسها ثقيل . أفكارها ثقيلة . خوفها ثقيل . حتى ما ينبض به قلبها من حب أصبح ثقيلا . وتذكرت تلك الأيام . كانت تجلس فى ذات المكان منتشية ممتلئة بحيوية الأمل والحلم الذى يتحقق . وتتمتم للسماء أن تبقى لها حبيبها .

سألها ماذا بها . قالت أنها لم تنم ليلة الأمس . ولم تعوض هذا فى ظهيرة اليوم . ، والحقيقة شىء مختلف تماما . قال أن الأفضل أن يخرجا من المكان المزدحم المغلق ويسيرا فى نسمات الهواء المنعشة الباردة . وخرجا . نسمات الهواء أنعشتها قليلا . لمس رأسها . أمسك عنقها . هزها كأنه يفيقها . سألها . هل ما زالت تحبه ؟ ! . قالت أنها تريد أن تسأله نفس السؤال . قال : إن مسئوليات الحياة والعمل أحيانا تبعد اثنين محبين بعضهما عن بعض لفترة . فهل معنى هذا أن يتوقف حبهما ؟ ! قالت : إذا كان غير حقيقى . قال أن مشاعره ناحيتها حقيقية . قالت وهى أيضاً . تحدثا عن أخبارهما فى فترة الابتعاد ، جاءتها الحيوية المفتقدة . تعلقت فى ذراعه وسارت كما كانت تسير فى تلك الأيام الأولى .

أجمل الكلمات

قالت : « تغيرت كثيراً . ظهر الشيب فى شعرك . أصبحت أكثر نضجا وأقل كلاما . وارتديت ملابس غالية ثقيلة » .

قال : « وأنت لم تتغيرى كثيراً . ما زالت ابتسامتك حلوة . وشعرك أسود، وتشعين الحيوية من داخلك. و .. مازلت أحبك ».

نظرت إليه بجانب عينيها وابتسمت . ارتفع صوت أجش .. قائلا : « لا نريد احتفالات جانبية . اليوم احتفال عالمى » ولم يشاركا الجمع فى ضحكاتهم . تعالت الموسيقى الصاخبة . قاموا يرقصون كأنهم فى حفلة « زار »، وكانا يريدان أن يزيلا التوتر فى داخلهما فرقصا وسط الجمع الصارخ الذى لم يهدأ إلا عندما توقفت الأنغام فجأة . وأطفئت الأنوار . وأعلن صاحب الصوت الأجش أن العام قد انتهى . كانت قد فقدته فى الظلام فابتعدت عن الجمع : جلست متكورة فى نفسها . لا تدرى لماذا داهمها

الحزن بأوجاعه المبهمة الدفينة . وعندما أضيئت الأنوار جلسوا يشربون نخب العام الجديد . يقولون أمنيات جديدة ، ويجترون ذكريات قديمة . قال صاحب الصوت الأجش : « ليقل كل منا أجمل كلمات سمعها أو قرأها فى العام الماضى » . ازدادت مداهمة الحزن لها . ونظراتها تلتقى بنظراته فى الجانب الآخر . كانت الكلمات تأتى مثل الضجيج إلى أذنيها ولا تجد فيها جمالا . قررت أن تهرب من هذه اللعبة فليس عندها ما يقال . وعندما جاء دوره .. أخرج من جيبه خطابا وقرأ :

« ما أوحش الحياة بدون نظرة حب . وكلمة عتاب ، وفرحة لقاء . ما أوحش اليوم بدون سؤال من محب . ما أوحش الليل بدون صحبة محبوب . بدون أمل فى غد . ما أوحش حياتى يومى وليلى بدونك . وما أقسى هذا القلب الذى يترك محبوبه فى وحشة وغربة ومذلة وحده . أكتب لك لأقول إننى لم أعد احتمل فراقك .. وداعا .. » .

خفق قلبها مع التصفيق . وقالوا أن الجائزة لقائل هذه الكلمات . أعطوه علبة كبيرة . أخذها وسار إليها . وهو يقول : « الهدية لصاحبة أجمل كلمات » .

قامت . لا تدرى هل تجرى إلى خارج المكان . أم إلى أحضانه . تعالت الصيحات . وقفا وجها لوجه . وتعذرت

الكلمات ، ثم بدأت موسيقى هادئة : ضمها إليه . قال هامساً « لم تقولى أجمل كلمات سمعتها أو قرأتها فى العام الماضى » : لمعت عيناها بدموع أحزان مضت . وآمال جاءت . لم ترد ، قال : « لن نفترق من اليوم » . ارتفع الصوت الأجش قائلا : « لا نريد انفعالات خاصة . اليوم انفعال عالمى . » وضحكا أخيراً :

قـوة الحب !

الذى رأى وجهه فى الصباح ، كان لا يمكن أن يعرف هذا الوجه فى المساء . فوجهه فى الصباح كان متعبا ، مجهدا بالمشاكل التى أمامه : فى أذنيه : فى عينيه ، يحيط به أصحاب المطالب والمشاكل التى لا تنتهى : الذى رأى وجهه فى الصباح قال : هذا الرجل أصبح عجوزاً فى عمر الشباب بمشاكل العمل وهموم العالم :

الذى رأى وجهها فى الصباح ، كان لا يمكن أن يعرف هذا الوجه فى المساء : فوجهها فى الصباح كان متعباً ، مرهقا بشعور اليأس الملعون ، بالجفاف فى حلقها ومشاعرها ، وروتين الحياة ، وفكرة أنه لا يوجد مفر .

كانت خطواتها ثقيلة بين العاملات والموظفات ساعة

الانصراف . حذاؤها بلا صوت . نظرت إلى أحذيتهن وهى « تطرقع » أمامها . خلفها أثناء نزولهن درجات السلم . « ترك .. ترك » يرتدين أحذية حسب الموضة الجديدة كعوبها عالية . تطرقع فوق درجات السلم . ألوانها زاهية ، وغير زاهية ، لكن كل أحذيتهن تطرقع . كأن كل واحدة منهن تعلن عن وجودها . تؤكد أنوثتها بطرقعة كعب الحذاء . هى أيضاً عندها حذاء كعبه مرتفع هكذا . لكنها لا ترتديه إلا فى المساء . ترتديه نادراً . عندما تخرج للقاء حبيبها . نادرا . هؤلاء النساء والفتيات يرتدين أحذيتهن ذات الكعوب العالية فى الصباح . كيف يسرن بها ؟ ! . تعود .. وتأكيدا لأنوثتهن . وبفكرة للغندرة والشعور أنهن جذابات . لتلفت الفتيات أنظار الشبان ، ولتعلن السيدات أنهن لسن متخلفات عن الموضة ! . شعرت بوحدة حذائها . كأنه كاتم للصوت ، لا يصنع ضجة معلنا عن أنوثتها . ربما شعرت أن أنوثتها مجروحة ففضلت ألا تعلن عنها .

ارتفعت نظراتها من أحذيتهن إلى وجوههن . الفتيات ضاحكات . يتهامسن بأسرارهن .. بأخبار آخر المعجبين وبحوادث يوم العمل . ربما أكثرهن ذاهبات إلى مقابلة أحبائهن أو الإعداد لمقابلتهم ، لذلك فهن سعيدات . والنساء المتزوجات ليذهبن إلى دفء بيوتهن . إلى أعبائهن ونظرة الفرح فى وجوه أطفالهن . وربما نظرة الامتنان والحب من الأزواج .

وقفت لحظة أمام مكان العمل ، وقررت ، شيئاً . ذهبت إليه فى عمله . تعرف أنه يمكث ساعات أطول فى عمله . والتقى الوجهان المتعبان المجهدان . كان على وشك الانفجار عندما رآها ، انفرجت أسارير وجهه . شعر براحة فى عضلات وجهه المشدودة منذ الصباح .. لاحظ التعب فى وجهها .

قال : « كأنك مرهقة من مشوار طويل » . ارتسمت على على وجهها ابتسامة شاحبة . كان يريد أن يتحدث معها . كانت تريد أن تبقى معه . لكن هناك مشاكل لابد من فضها قال : « لنلتق فى المساء ليس لدى عمل إضافى اليوم » . وافقت صامتة .

فى المساء ارتدت حذاءها ذا الكعب المرتفع وتعجبت أنها تستطيع أن تسير به بسهولة وخفة يزيد من طول قامتها فتصبح فى طول قامته . حذاؤها لا يطرقع ومع ذلك شعرت بأنوثتها . بوجودها بوجوده بجانبها . بهذا الحب والحنان اللذين يلفهما وذراعه حول خصرها .

وكانت بداية الحديث عن مشاكل العالم والعاملين . اقترحت مكانا رغباه معا . استشعرت حبه وشوقه وبدأت الحياة تدب فى أوصالها . استشعرا الدفء والحنان ونظرة الحب فى عينيها وبدأت الحياة تدب فى أوصاله . حديث طويل . مع دفء الصحبة والمعرفة القديمة والحب . اثنان مختلفان تماماً عن هذين اللذين

كانا فى الصباح : سارت مرحة بجواره : رقصت وهى تسير . قالت : « حذائى لا يطرقع ومع ذلك أشعر بأنوثتى » ضحك وهو يضمها . فوق سور حجرى بجوار النهر جلسا .

نظرت إلى البنايات الكثيرة قالت : « ماذا لو كانت لنا شرفة هنا . نجلس فيها فى المساء . القمر فى السماء والنهر أمامنا . هل بلدنا لم تعد لنا ؟ ! » . ضمها إليه . قال : « تعبنا كل يوم فى عملنا وصبرنا وقوة حبنا » لابد أن تحقق هذه الأشياء أملنا » . كادت تقول شيئاً ، لكنها لم ترد أن تفسد فرحتهما بوجودهما معاً ، ولقاء الحب الذى يجدد فيهما الحيوية ويزودهما بقوة نادرة فى الأيام التالية ، لمواصلة الحياة ، والقدرة على تخيل تحقيق الأمل .

هــذه النظرة ..

كانت تقف وسط المعارف والأصدقاء وصاحبة الدعوة عندما دخل إلى المكان . قالت فى نفسها : « أعرف هذا الوجه لكنى لا أتذكر اسمه » . سلم على المحيطين بها ونظر إليها . هز رأسه بسلام ، ردت تحيته بهزة من رأسها مماثلة . قالت فى نفسها : « ربما هو أيضاً تذكر وجهى ولم يتذكر اسمى » . ذهبت إلى مقعد ، جلست بجانب صديق تتحدث . جاء . جلس أمامها . قدم لها سيجارة وأشعلها . رحب بوجودها بينهم مرة أخرى بعد غيابها . قالت فى نفسها : « إنه يتذكر » . وذهبت قليلاً مشاعر الغربة . سألتها امرأة لم ترها من قبل : أين تعمل . كانت المرأة جالسة بجواره فرد على سؤالها بإجابة وافية . « إنه يتذكر » . نظرت إليه شاكرة على إعفائها من الإجابة . كانت عيناه تشعان ببريق يعجبها وكانت نظرته لها خاصة .

قالت فى نفسها : «كلهم خلال السنوات التى ابتعدت عنهم ارتبطوا ، وأنجبوا وانشغلوا» وتذكرت الفتاة التى كانت بصحبته فى تلك السنوات البعيدة ، وقالت فى نفسها : «ربما لم تأت الحفلة لانشغالها مع أبنائها» .. كادت أن تسأله عنها لكن لم تأت مناسبة .

أحضرت صاحبة الدعوة صورا لرحلة فى أوروبا . وجدته فى الصور معهم . بحثت عيناها عن امرأته . وهنا سألت صاحبة الدعوة فقالت لها هامسة : إنه ليس مرتبطا .

أحياناً تظل فى ذهن الانسان صورة من الماضى لاثنين معا ، ولعدم رؤيته لهما سنين يعتقد أنهما مازالا معا . فهل يتذكر هو أيضاً الشاب الذى كان بصحبتها وهل يعتقد أنهما أيضا مازالا معا؟!

نظرت إلى عينيه . وردت عيناه نظرتها بهذه النظرة الخاصة. تمنت أن يبدأ حديثا معها ، وسألت نفسها لماذا لا تبدأ هى ؟؟ . كثرت الأسئلة فى رأسها ، وارتسمت فى نفسها .. كلها أسئلة خاصة لا يصح أن تقال وسط مجموعة يتحدثون كلهم أحاديث مشتركة . ولمحته يهمس لصاحبة الدعوة . ولمحتها تنظر ناحيتها وهى تبتسم وتحدثه . فهل سألها نفس السؤال الذى سألته عنه ؟! . وارتبكت .

لم يحدث بينهما حديث خاص . لم تجد مناسبة ولم ينتهز فرصة . فقط نظرات متبادلة خاصة . إلى أن انتهت الحفلة .

فى فراشها قبل أن تنام استرجعت نظرته وشعرت بدفء يحتويها ويحتضنها . ربما فى أحلامها الليلة ستبقى هاتان العينان وهذه النظرة فى عينيها . وربما طوال اليوم التالى أيضا . وستلعب أحلام اليقظة دورها : لن تطرد أحلام اليقظة ، فهى التى تعطينا الدفعة لنحيا . لنستمر . لنأمل .

قالت فى نفسها أنها لن تبحث عن صاحب هاتين العينين ، لن تفتعل الصدفة وتذهب حيث يذهب . ولن تحدث صديقاتها عنه حتى لا تسمع كلمات إهانة للرومانسية . إذا بحث عنها هو . لتكن فرحة . وإذا لم يبحث ، يكفى أنه للحظات قصيرة أضاء فى نفسها شيئا .. يكفى أن عينيه ونظرته الخاصة كانت ضوءا فى ليلة من هذه الليالى الشديدة الظلمة .

اليمــامة

فى حديقة صغيرة اخترت منضدة متطرفة ، مكان صغير تحميه أشجار كبيرة من ضجة المدينة وصخبها . اخترت المكان وحددت الموعد وذهبت مبكرة ، ربما القلق دفعنى للذهاب مبكرة ، وربما أردت التأمل . . أو حماية الشجر من الضجة التى بداخلى ، سمعت صوت اليمامة ، أحب صوتها ، كأنه الدعاء فى تنغيماته ، أحب طائر اليمام وأستبشر به ، أحب أن أراقب ثنائيات هذا الطائر وهما يتناجيان ، دائما اثنان معا الذكر والأنثى والحب يجمعهما . لم أر طائر اليمام يتشاجر مع رفيقته ، تمنيت يوما أن أكون طائر اليمامة يدللنى رفيقى وأدلله ، يحبنى وأحبه ، يرعانى وأرعاه ، ونبنى عشنا معا ، ذات يوم لفت نظر حبيبى إلى هذا الطائر ، قلت له عن أمنيتى وضحك .

نظرت إلى اليمامة وهى تسير بجانب المنضدة التى اخترتها ، نظرت إلى كعادة الطيور بجانب من رأسها ، قلت لها ، لا تخافى ، أنا أحبك ، فى يوم ما رعيتك وأحببتك ، فى يوم بعيد وجدت يمامة صغيرة ملقاة فى شرفة غرفتى ، كنت صغيرة . كانت اليمامة صغيرة ، ملقاة ، مجروحة فى شرفتى ، حملتها ، أطعمتها ، عالجت جروحها.. أحببتها وأحبتنى ،وظلت شهورا طويلة تعيش بيننا كأنها واحدة من الأسرة تحبنا ونحبها ، وفى يوم اختفت ، حزنت عليها وبكيت ، وقال لى أبى مواسيا :

« اليمامة خرجت تبحث عن رفيق لحياتها ، طارت ، وهذا من حقها ، لا تبكى يا صغيرتى افرحى لها ، هى خرجت لتبنى عشها مع رفيق حياتها » .

من يومها ، كلما وجدت اثنين من طائر اليمام فوق سور شرفتى أفرح بهما ، كأن « يمامتى » جاءت لزيارتى مع رفيق حياتها .

على صوت اليمامة بجانبى أفقت من ذكرياتى الصغيرة ، نظرت إلى ساعتى بقلق . . الموعد يقترب ، ابتسمت وأنا أتذكر اليمامة التى رأيتها فى الحلم منذيومين . . كانت تشبه اليمامة التى ربيتهايوما،

هكذا خيل إلى مع أن طائر اليمام متشابه فى تكوينه ولون ريشه ، وصوته مثل التنغيات بالحب والدعاء . فى الحلم فرحت بها واحتضنتها . . بين الكتف والوجة احتضنتها . واستكانت لى .

سألت أخى هل عندنا قفص كبير نضعها فيه . قال مبتسما ومحذرا : « اليمامة لا توضع فى قفص . ومحرم صيدها » . . وذكرنى باليمامة التى ربيتها واختفت ، لكن لم أترك اليمامة أمام تحذيره .

فى صباح اليوم التالى كنت سعيدة بالحلم : اليمامة فى الحلم علامة طيبة .سعادة فى الحب . . هكذا . . وحبيبى يخاف الحب ،والمستقبل عفريت يقلقه ، عندما شعر بعاطفة الحب خاف واختفى . مشاكل الأسرة والمال حاجز عظيم يختفى وراءه الحب :

وعندما هدمت الحاجز ووقفت مثل زعماء الرومانسيين الحمقى أقول : لقد هدمت الحاجز يا حبيبى تعالى إلى ، ارتعب واختفى. قلت له : لن أتمسك بعلاقة واهية ، إذا أردت الاستمرار فى حبنا . نبنى حياتنا معا . . تعال إلى موعدى ، إذا لم ترد ، لاتأتى إلى بالمبررات والحجج ، لا تأتى وسيكون هذا جوابك ، ولن أتمسك بعلاقة واهية :

نظرت إلى ساعتى ، مرت نصف ساعة على موعدنا ،

لم يأت ، ابتسمت بحزن إلى اليمامة ورفيقها وهما يتناجيان ، وتذكرت أن اليمامة التى أمسكت بها فى الحلم واحتضنتها اختفت ، سعدت برؤية اليمامة ولم أتذكر اختفاءها .. وضعت على المنضدة ثمن المشروب الذى لم أشربه ، قمت .. خطوتان ووجدته أمامى ، قال مبتسما وهو يشير إلى المنضدة : « لم تكملى مشروبك .. أين أنت ذاهبة » ؟!

جلست أمامه ، لم أدر ماذا أقول له ، ابتسم وهو يضم يدى بين يديه ، كانت الإجابة فى نظرته وابتسامته ، ولمسة يديه ، وامتلأ المكان بأصوات اليمام .. تنغيمات بالحب والدعاء .

كتب للمؤلفة :

- يوم بعد يوم — رواية — دار الهلال — روايات الهلال
- حكايات عن الحب — دراسة فى تاريخ الحب — مؤسسة روزاليوسف — الكتاب الذهبي
- عندما يقترب الحب — قصص قصيرة — مؤسسة روزاليوسف — الكتاب الذهبي
- لا تسرق الأحلام — رواية — مؤسسة روزاليوسف — الكتاب الذهبي

تحت الطبع :

- آخر ليالى الشتاء — رواية — مؤسسة روزاليوسف — الكتاب الذهبي

رقم الإيداع ٨٢/٣٣١٢
الترقيم الدولى ٥ — ٠٠١ — ١٧٢ — ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) — تليفون ٢٢٠٧٩